أعلام المسلمين
٢٢

عدي بن حاتم الطائي

الجواد ابن الجواد

محيي الدين مستو

دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين
٢٢

عديّ بن حاتم الطائي

الجواد ابن الجواد

٥٢ ق هـ - ٦٧ هـ

محيي الدين مستو

الطبعة الثانية

دار القلم
دمشق

الطبعة الثانية
١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص . ب : ١١٣/٦٥٠١

هـٰـذا الرَّجُـل

● «خير مولود وُلد في أرض طيء وأعظمه بركة»

ابن الأثير

● «كان سخياً جواداً، رفيقاً رحيماً، أسلم حين كفر الناس، ووفى إذ غدروا، وأقبل إذ أدبروا »

كتاب معرفة الصحابة؛ لأبي نعيم الأصبهاني

● «قدم عدي بن حاتم على عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فكأنه رأى منه جفاء، فقال له: أما تعرفني؟ قال: بلى، والله أعرفك، أكرمك الله بأحسن المعرفة: قد أسلمت إذ كفروا، وعرفت إذ أنكروا، ووفيت إذ غدروا، وأقبلت إذ أدبروا. فقال: حسبي يا أمير المؤمنين، حسبي!»

كتاب المعارف؛ لابن قتيبة ص ٣٠٣

● «كان جواداً شريفاً في قومه، معظماً عندهم وعند غيرهم، حاضر الجواب.»

الإمام النووي

المقدّمة

الحمد لله، ولا نعبد إلَّا إيَّاه، والشكر له على نعمه وتوفيقه ولا يستحقُّه أحد سواه، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمدٍ الذي أتم الله به مكارم الأخلاق، ورضي الله عن آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستنَّ بسنته إلى يوم نلقاه.

وبعد:

فإنَّ ممّا لا خلاف فيه أنَّ العربَ عرفوا في حياتهم قبل الاسلام كثيراً من الفضائل الخُلُقية الفطريّة، وكانت تلك الفضائل سجايا تجري في عروقهم مجرى الدم، ويتواصَون بها في أشعارهم، حتى أصبحت عرفاً مطاعاً له سلطانه في حياتهم الاجتماعية، ومن هذه الفضائل: الكرم والشجاعة، والعفَّة والوفاء...

ولكن هذه الفضائل لم تكن بذاتها أهدافاً أو غايات إنسانية نبيلة، كتحقيق العدالة أو الكفاية في حياة الناس. ومن الطَّبيعي أنها لم تكن لإرضاء الله تعالى؛ لأن عقيدة الألوهية عندهم كانت منحرفة وغامضة. بل كانت تلك الأخلاق وسيلة للحصول على السمعة والمديح والذِّكر، ومن هنا كان قول

النبيِّ ﷺ: «إنما بُعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق» معجزة إلَهية؛ حيث أتمَّ الرسول الكريم بأفعاله وأقواله مكارم الأخلاق؛ فأصبحت الفضائل الخلقية صفة عامَّة لدى المسلمين جميعاً، وسلوكاً متأصِّلاً في حياتهم، وطبيعة متلازمة مع شعائر دينهم؛ وغاية ونتيجة لكل عقيدة أو عبادة أو تشريع في إسلامهم، وأضحَت هذه المكارم قويمة لا يُراد بها إلَّا وجه الله تعالى، ولا يُقصد بها إلَّا الدار الآخرة.

ومع تسليمنا وإيماننا بأنَّ الله سبحانه قادر على نصرة دينه ولو لم يختر لحمله وتبليغ دعوته الأمّة العربية بالذات، فإنَّنا نجد الحكمة في اختيار الله للعرب، ليكونوا حَمَلة الدعوة وطليعة المسلمين في الأرض كامنة في أخلاقهم الفطريَّة التي لا تحتاج إلى إيجاد، وإنَّما تحتاج إلى صقل وتهذيب وإتمام.

وإذا نظرنا إلى هذا الجانب الأخلاقي في حياة العرب قبل الاسلام من زاوية أخرى، فإنَّنا نجده ميزة هامة في نفوذ الاسلام إلى نفوسهم بعد أن وجدوا فيه مكارم الأخلاق تامَّة وهادفة:

فالشجاع وجد في الحياة الإسلامية ما تصبو إليه نفسه من قوة وبطولة؛ حيث يستطيع أن يتقدم الصفوف مجاهِداً في سبيل الله، وطالباً لنيل الشهادة أو العزّة والنَّصر، ولذلك بدأنا نجد في التاريخ الإسلامي الكثير من مواقف البطولة، وسِيَر الأبطال؛ ممَّا جعل أرضنا أرض البطولات، وتاريخنا تاريخ الأبطال الكماة. ولا ريب أنَّ هذه الإمكانات كانت تذهب هَدْراً من

قبل، وتضيع في حدود العصبيّات القبليَّة الضيِّقة، وحروبها ضدّ بعضها البعض؛ أخذاً بالثأر أو من أجل الماء والمرعى، وأحياناً من أجل أسباب تافهة لا تستحق الاقتتال وسفك الدماء.

والكريم وجد في أحكام الإسلام ما يدعوه إلى الجود وعون الآخرين، ودون أن يتم ذلك جهاراً أمام الناس بقصد التفاخر، وإنَّما سرّاً من أجل كفاية الفقراء وسدِّ خَلَلِ المجتمع.

والفرد وجد عزّته وقوته في الإسلام، ولم تعد العزّة تجبّراً وصَلفَاً، وإنَّما هي ولاءٌ لله، وشدة واستعلاء على أعداء الله، ورحمة وتعاون مع جماعة المسلمين؛ التزاماً بقول الله تعالى: (أشدّاءُ على الكفّار رُحَماءُ بينهم).

وحياة عديّ بن حاتم الطَّائي، الصحابي الأمير رضي الله عنه، خير مثال للتأكيد على أنَّ ميزة الأخلاق عند العرب جعلتهم يتأثَّرون بالإسلام كلَّ التأثر، فيصل إلى قلوبهم، وينفذ الى أعماق نفوسهم، فيغيِّر الباطن منها والظاهر، ثم يخرجون به من عزلتهم وضَيَاعهم دعاةَ إصلاح وهداية ورَشَاد.

لقد قدم «عديٌّ» على رسول الله ﷺ في السَّنَة التاسعة للهجرة، ونطق بشهادة الحقِّ، وتخلَّى عن الامتيازات الجاهليَّة، وكان الدافع لإسلامه قويّاً يتلاءَمُ مع طبيعته وصفاته وأخلاقه، وذلك حين وجد بنفسه مكارمَ الأخلاق متمثِّلةً في شخص رسول الله ﷺ، ومنذ اليوم الأول الذي اعتنق فيه الإسلام، بدأ يتفقَّه في الدين حتى أصبح بحق من خيار الناس،

ومن أفضلهم في الجاهليّة والإسلام، وقد زاده الإسلامُ رفعةً وشرفاً وسؤدداً.

إنَّ هذه الميزة في حياة «عديّ» استهوتني ودفعتني لأقدِّم للمسلمين ـ وبخاصة الشباب ـ هذه الصحائفَ المضيئة، والمملوءَة بمكارم الأخلاق، وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذا الحديث حيث عزَّت الفضائل، وتقاصرت عن بلوغها الهمم.

ونبدأ هذه السيرة المباركة بالتعرُّف على بيئة عديّ، ونشأته في قبيلته طيّء، ثم نقف على خبر فراره بأهله إلى الشام، ومن ثَمَّ قدومه على رسول الله ﷺ وإسلامه، لنصلَ بعد ذلك إلى اعتزاز عديّ بهذا الإسلام، وثباته عليه ووفائه له حتى آخر أيام حياته، ونختم هذا كلَّه بمسند عديّ، ويتضمن ما رواه من الأحاديث النبويّة في الكتب الستَّة. أما مراجع الكتاب فاكتفيت بإثباتها في هوامش الصفحات. وأسْأَلُ الله تعالى سلامة القصد، وحسن الخاتمة...

محيي الدين مستو

المدينة المنورة

١١ رجب ١٤٠١ هـ

الباب الأوّل

بيئة عديّ

الفصل الأول البيئة الطبيعيّة

الفصل الثاني البيئة الاجتماعيّة والاقتصاديّة

الفصل الثالث البيئة الدّينيّة

الفصل الأول

البيئة الطبيعيّة

تمهيد

قبيلة طيّء، قبيلة عظيمة من كهلان، من القحطانيّة، تنتسب إلى طيّء بن أدَد، بن زيد، بن يشجب، ابن عُريب، ابن زيد، بن كهلان، وتتفرّع من بني طيّء بطون وأفخاذ كثيرة. وكانت منازل طيّء باليمن فخرجوا منه على أثر خروج الأزد منه، ونزلوا سميراء وفَيْد في جوار بني أسد، ثم غلبوهم على أجَأ وسَلمى ـ وهما جبلان من بلادهم ـ فاستقروا بهما، ثم ورثوا من بلاد أسد ما وراء الكرخ من أرض غفر، ثم ورثوا منازل تميم بأرض نجد فيما بين البصرة والكوفة واليمامة، وورثوا غطفان ببطن ممّا يلي وادي القُرى، وبعبارة أخرى: لقد ملأوا السهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً[١].

جبلا أجأ وسَلمى:

والذي يهمنا من هذه المواقع التي انتشرت فيها قبيلة

(١) معجم قبائل العرب، لعمر رضا كحالة ٢/٦٨٩ ـ ٦٩١ بتصرف.

طيٍّء وملأتها هو المكان الذي سكنوه أثناء البَعْثة المحمديَّة، وهو جبلا أجأ وسَلمى، وقد أورد ياقوت الحموي رحمه الله تعالى في معجمه تعريفاً وافياً بهما فقال:

أَجَأٌ: بوزن فَعَل، بالتحريك، مهموز مقصور، والنسب إليه أجئيٌّ بوزن أجَعِيٍّ، وهو علم مرتجل لاسم رجل سُمّي الجبل باسمه، كما نذكره، ويجوز أن يكون منقولاً. ومعناه: الفرار؛ كما حكاه ابن الأعرابي، يقال: أَجَأَ الرجلُ إذا فرَّ، وقال الزمخشريُّ: أجأُ وسلمى: جبلان عن يسار سُمَيراء، وقد رأيتهما، شاهقان، ولم يقل عن يسار القاصد الى مكة أو المنصرف عنها. وقال أبو عبيد السكوني: أجأ: أحد جبلي طيٍّء، وهو غربي فَيْد، وبينهما مسير ليلتين وفيه قرى كثيرة؛ قال: ومنازل طيٍّء في الجبلين عشر ليال من دون فَيْد إلى أقصى أجأٍ، إلى القُرَيَّات من ناحية الشَّام. وبين المدينَة والجبلين على غير الجادّة ثلاث مراحل. وبين الجبلين وتيماء جبال ذُكرت في مواضعها، منها: دَبْر، وغَريَّان، وغَسَل. وبين كل جبلين يوم، وبين الجبلين وفَدَك ليلةٌ، وبينهما وبين خيبر خمس ليالٍ.

وذكر العلماءُ بأخبار العرب أنَّ أجأَ سُمِّي باسم رجل وسُمِّي سَلمى باسم امرأة. وكان من خبرهما أنّ رجلاً من العماليق يقال له أَجأُ بن عبد الحيّ عَشِق امرأةً من قومه، يقال لها سَلْمى. وكانت لها حاضنة يُقال لها العَوْجَاءُ. وكانا يجتمعان

في منـزلهـا حتى نُـذُر[1] بهمـا إخـوةُ سَلمى، وهم: الغميم والمُضلُّ وَفَدَكُ وفائد والحَدَثانُ، وزوجُها. فخافت سَلمى وهربت هي وأجأٌ والعَوْجاءُ، وتبعهم زوجُها وإخوتُها فلحقوا سلمى على الجبل المسمّى سَلْمى، فقتلوها هناك، فسمّي الجبل باسمها. ولحقوا العَوْجاء على هضبة بين الجبلين، فقتلوها هناك، فسمّي المكان بها. ولحقوا أجأ بالجبل المسمّى بأجإٍ، فقتلوه فيـه، فسُمِّي به. وأنِفُوا أن يرجعوا إلى قومهم، فسار كل واحد إلى مكان أقام به فسمِّي ذلك المكان باسمه.

وأما سبب نزول طيّءٍ الجبلين، واختصاصهم بسكناهما دون غيرهم من العرب، فقـد اختلفت الرواة فيـه. قال ابن الكلبي، وجماعة سواه: لما تفرّق بنو سبأ أيام سيل العَرِم سار جابر وحرملة ابنا أدَدِ بن زيد بن الهُمَيْسع، وتبعهما ابن أخيهما طيء، واسمه جلهمة، فساروا نحو تِهامة، وكانوا فيما بينها وبين اليمن، ثم وقع بين طيِّء وعمومته ملاحاة، ففارقهم وسار نحو الحجاز بأهله وماله وتتبَّـع مواقـع القطر، فسُمِّي طيِّئـاً لطيِّـه المنازل، وقيل إنه سمِّي طيِّئاً[2] لغير ذلك، وأوغل طيءٌ بأرض الحجاز، وكان له بعير يشرد في كل سنة عن إبله، ويغيب ثلاثة أشهر ثم يعود إليه وقد عَبُل وسَمِن، وآثارُ الخضرة بادية في

(١) نُذُر: أُعلم.

(٢) في فتح الباري ١٠٢/٨: «فسمي طيِّئاً لأنّه أول من طوى بئراً، ويقال: أول من طوى المناهل».

شَذْقيه، فقال لابنه عمرو: تفقَّد يا بنيَّ هذا البعير فإذا شَرَدَ فاتَّبع أثره حتى تنظر إلى أين ينتهي.

فلمّا كانت أيام الربيع وشرد البعيرُ تبعه على ناقة له، فلم يزل يقفو أثره حتى صار إلى جبل طيءٍ، فأقام هنالك، ونظر عمرو إلى بلاد واسعة كثيرة المياه والشجر والنخيل والريف، فرجع إلى أبيه وأخبره بذلك، فسار طيء بإبله وولده حتى نزل الجبلين، فرآهما أرضاً لها شأن، ورأى فيها شيخاً عظيماً، جسيماً، مديد القامة، على خَلْق العادِيِّين، ومعه امرأة على خَلْقه يقال لها سَلمى، وهي امرأته، وقد اقتسما الجبلين بينهما بنصفين، فأجأٌ في أحد النِّصفين وسلمى في الآخر، فسألهما طيءٌ عن أمرهما، فقال الشيخ: نحن من بقايا صُحار، غنينا بهذين الجبلين عصراً بعد عصر، أفنانا كرُّ الليل والنهار، فقال له طيّء: هل لك في مشاركتي إيَّاك في هذا المكان فأكونُ لك مُؤْنساً وخِلاًّ؟ فقال الشيخ: إنّ لي في ذلك رأياً، فأقم فإنَّ المكان واسعٌ، والشجر يانع، والماء طاهرٌ، والكلأ غامرٌ. فأقام معه طيّءٌ بإبله وولده بالجبلين، فلم يلبث الشيخ والعجوز إلاّ قليلاً حتى هلكا، وخلَص المكان لطيءٍ، فولدُهُ به إلى هذه الغاية.

قالوا: وسألت العجوز طيّئاً ممّن هو؛ فقال طيءٌ:

إنّــا من القــوم اليمــانيِّينا ... إنْ كنتِ عن ذلك تسألينا
وقد ضربنا في البلاد حينا ... ثُمَّت أقبلنــا مهـاجــرينــا

إذْ سامَنا الضَّيْمَ بنو أبينا   وقد وقعنا اليوم في شينا
ريفاً وماءً واسعاً معينا

ويقال إنَّ لغة طيٍّءٍ هي لغة هذا الشيخ الصُّحاري والعجوز امرأته.

وقال أبو المنذر هشام بن محمد في كتاب «افتراق العرب»: لمّا خرجت طيٍّء من أرضهم من الشَّحَر ونزلوا بالجبلين أجأ وسَلمى، ولم يكن بهما أحد، وإذا التمر قد غطَّى كرانيف النَّخْل، فزعموا أنَّ الجن كانت تُلقِّح لهم النَّخل في ذلك الزمان، وكان في ذلك التمر خنافِس، فأقبلوا يأكلون التمر والخنافس، فجعل بعضهم يقول: ويلكم الميِّتُ أطيبُ من الحيّ.

وقال أبو محمد الأعرابي: أكتبَنا أبو النَّدى قال: بينما طيٍّء ذات يوم جالس مع ولده بالجبلين؛ إذ أقبل رجل من بقايا جَدِيس، ممتد القامة، عاري الجِبلّة، كاد يسدُّ الأفق طولاً، ويفرَعُهم باعاً، وإذا هو الأسود بن غِفَار بن الصَّبُور الجديسي، وكان قد نجا من حسّان تُبَّع اليمامة ولحق بالجبلين، فقال لطيٍّءٍ: من أدخلكم بلادي وإرثي عن آبائي؟ اخرجوا عنها وإلاَّ فعلتُ وفعلتُ. فقال طيٍّءٌ: البلاد بلادنا وملكنا وفي أيدينا، وإنَّما ادَّعيتَها حيث وجدتها خلاءً. فقال الأسود: اضربوا بيننا وبينكم وقتاً نقتتل فيه، فأيُّنا غلب استحقَّ البلد. فاتَّعَدا الوقت، فقال طيٍّءٌ لجندب بن خارجة بن سعد بن فُطْرَة بن طيء ـ وأمُّه

جديلة بنت سُبيع بن عمرو بن حمير وبها يعرفون، وهم جديلة طيء، وكان طيء لها مؤثراً ـ قال طيّءُ لجندب: قاتـل عن مكرُمَتِك. فقالت أمّه: والله لتترُكنّ بنيك وتعرضَنّ ابني للقتل! فقال طيءُ لعمرو بن الغوث بن طيء: فعليك يا عمرو الرجلَ فقاتلْه. فقال عمرو: لا أفعل؛ وأنشأَ يقول ـ وهو أولُ من قال الشعر في طيءٍ بعد طيءٍ ـ:

يا طيء أخبرني، ولستَ بكاذبٍ ... وأخوك صادقُك الذي لا يَكذِبُ
أمِنَ القضيّة أن إذا استغنيتمُ ... وأمنتمُ، فأنا البعيدُ الأجْنَبُ
وإذا الشدائدُ بالشدائد مَرَّةً ... أشجَتْكمُ، فأنا الحبيبُ الأقربُ
عَجباً لتلك قضيَّتي، وإقامتي ... فيكم، على تلك القضيّة أعجبُ
ألكُم معاً طيب البلاد ورَعيُها ... وليَ الثِّمادُ ورَعْيُهنَّ المُجْدِبُ
وإذا تكونُ كريهةٌ أُدعى لها ... وإذا يُحاسُ الحَيْسُ يُدعَى جُندبُ
هذا لعَمْرُكُمُ الصَّغارُ بعينه ... لا أمَّ لي، إن كان ذاك، ولا أبُ

فقال طيءُ: يا بنيّ إنّهـا أكرم دارٍ في العـرب. فقال عمرو: لن أفعلَ إلّا على شرط أن لا يكون لبني جديلة في الجبليْن نصيبٌ. فقال له طيءُ: لك شرطك. فأقبلَ الأسودُ بن غِفار الجديسي للميعاد ومعه قوس من حديد ونُشَّابٌ من حديد، فقال: يا عمرو، إن شئتَ صارعْتُك وإن شئتَ ناضلتُك، وإلا سايفتُك. فقال عمرو: الصِّراعُ أحبُّ إليّ، فاكسـرْ قوسك لأكسرها أيضاً، ونصطرع. وكانت لعمرو بن الغَوث بن طيءٍ قوس موصولة بزَرَافين، إذا شاء شدّها وإذا شاءَ خلعها، فأهوى

بها عمرو فانفتحتْ عن الزرافَين، واعترض الأسودَ بقوسه ونُشَّابه فكسرها، فلما رأى عمرو ذلك أخذ قوسه فركبَّها وأوترها وناداه: يـا أسود استعنْ بقـوسك فـالرميُ أحبُّ إليَّ. فقـال الأسود: خَدَعْتَني. فقال عمرو: الحرب خُدْعةٌ، فصارت مثلاً، فـرماه عمرو، ففلق قلبه، وخَلصَ الجبلان لطيءٍ، فنزلهما بنو الغوث، ونزلت جديلةُ السهلَ منهما لذلك.

قال عبيد الله الفقير إليه: في هذا الخبر نظرٌ من وُجوه: منها أنَّ جُنْدباً هو الرابع من ولد طيءٍ، فكيف يكون رجـلاً يصلُحُ لمثل هذا الأمر؟!. ثم الشعر الذي أنشده وزعم أنّـه لعمـرو بن الغَوْثِ، وقـد رواه أبو اليقـظان وأحمد بن يحيى «ثعلب» وغيـرهمـا من الـرُّواة الثِّقـات لهـانىء بن أحمـر الكِنَاني ـ شاعرٌ جاهليٌّ ـ ثم كيف تكون القوس حديداً وهي لا تُنْفذ السَّهم إلاّ برجوعها؟! والحديد إذا اعوَجَّ لا يرجع البتَّة. ثم كيف يصحُّ في العقل أنَّ قوساً بزرافَين؟! هذا بعيد في العقل، إلى غير ذلك من النظر.

وقد روى بعض أهل السِّيَر من خبر الأسود بن غِفار ما هو أقرب إلى القَبول من هذا، وهو أنَّ الأسود لمَّا أفْلَت، من حسَّان تُبَّع، أفضى به الهرب حتى لحق بالجبلين قبـل أن ينزلهمـا طيءٌ، وكانت طيءُ تنزل الجَوْفَ من أرض اليمن، وهي اليوم محلَّة هَمْدان ومُراد، وكان سيدهم يومئذٍ أسـامة بن لؤي بن الغوْث بن طيء، وكان الوادي مَسْبَعةً، وهم قليـل عددهم،

فجعل يَنْتَابهم بعيرٌ في زمن الخريف يضربُ في إبلهم، ولا يدرون أين يذهبُ، إلاّ أنَّهم لا يرونه إلى قابل، وكانت الأزد قد خرجت من اليمن أيام سَيْل العَرِمُ، فاستوحَشَتْ طيءٌ لذلك، وقالت: قد ظعنَ إخوانُنا وساروا إلى الأرياف؛ فلما همُّوا بالظَّعن، قالوا لأسامة: إنَّ هذا البعير الذي يأتينا إنَّما يأتينا من بلدِ ريفٍ وخصب، وإنّا لنرى في بَعْره النَّوى، فلو إنا نتعهده عند انصرافه، فَشَخَصْنَا معه لعلَّنا نصيبُ مكاناً خيراً من مكاننا. فلما كان الخريف جاءَ البعير فضرب في إبلهم، فلما انصرف تبعه أسامةُ بن لؤي بن الغَوْث، وحبَّةُ بن الحارث بن فُطرة بن طيءٍ، فجعلا يسيران بسير الجمل وينزلان بنزوله، حتى أدخلهما باب أجاٍ، فوقفا من الخصب والخير على ما أعجبهما، فرجعا إلى قومهما فأخبراهم به، فارتحلَتْ طيٌّءُ بجملتها إلى الجبلين، وجعل أسامة بن لؤي يقول:

اجعَلْ ظُرَيْباً كحبيب يُنسى   لكلّ قوم مُصْبَحٌ ومُمْسى

وظُرَيْب اسم الموضع الذي كانوا ينزلون فيه قبل الجبلين، قال: فهجمتْ طيٌّءُ على النخل بالشِّعاب وعلى مواشٍ كثيرة، وإذا هم برجُل في شِعْب من تلك الشِّعاب، وهو الأسودُ بن غِفار، فهالهم ما رأوا من عِظَم خَلْقه وتخوَّفوه، فنزلوا ناحية من الأرض فاستبرؤوها فلم يروا بها أحداً غيره. فقال أسامة بن لؤي لابنٍ له يقال له الغوث: يا بنيَّ إنّ قومك قد عرفوا فضلك في الجدِّو والبأس والرَّمي، فاكفنا أمر هذا

الرجل، فإن كَفَيتَنَا أمره فقد سُدْتَ قومك آخر الدهر، وكنتَ الذي أنزلتنا هذا البلد، فانطَلَقَ الغَوْثُ حتى أتى الرجلَ، فسأله، فعجب الأسود من صغر خَلْق الغَوْث، فقال له: من أين أقبلتم؟ فقال له: من اليمن. وأخبره خبَر البعير ومجيئهم معه، وأنَّهم رهبوا ما رأوا من عِظَم خَلْقه وصغرهم عنه، فأخبرهم باسمه ونسبه. ثم شَغَلَهُ الغَوْث ورماه بسَهمٍ فقتله، وأقامتْ طيٍّءُ بالجبلين وهم بهما إلى الآن. وأمَّا أسامةً بن لؤي وابنه الغَوْث هذا فدرجا ولا عقب[1] لهما.

ومن الملاحظ أنّ هذه الروايات التي ساقها «ياقوت» للتعريف بالجبلين قد اختلطت بحكايات أسطورية، وبوقائع غريبة لا أصل لها إلاَّ في خيالات الرواة والقصّاص، وكفانا «معجم البلدان» مؤنة النقد والتمحيص لبعضها، ونضيف إلى

(١) معجم البلدان؛ لياقوت الحموي ١/ ٩٤ ـ ٩٩.
وفي كتاب المفصَّل في تاريخ العرب قبل الاسلام؛ لجواد علي ٤/ ٤٥٠ ـ ٤٥١ ما نصّه:
«وقد أوجد الأخباريون هذه القصّة ـ قصة الرجل الصحاري مع ابنته ـ تفسيراً لبعض المميِّزات اللغوية التي امتازت بها لهجة طيّىء. وصحار: اسم موضع، واسم بطن من قضاعة أيضاً. وقد أخذت بطون قضاعة مواطن طيّىء في الشمال، واختلطت بعض بطون طيّىء بقضاعة. فهل عَنَى الأخباريّون بصحار هذا البطن من قضاعة، ولا سيما إذا تذكرنا أنَّ علماء اللغة يذكرون وجود التلتلة في لغة طيّء، وقد نسبوا التلتلة إلى قضاعة أيضاً؟ ولا يستبعد أن يكون لأسطورة الأخباريين عن الشيخ الصحاري شيء من الواقع، كأن يشير ذلك إلى صلة صحار بطيّىء».

ذلك أنَّه ربَّما ساهم في الوضع الروَّاد الأوائل من قبيلة طيٍّء الذين اكتشفوا الجبلين، وكان الدافع لهم تثبيت الأجيال القادمة من قبيلتهم بالأرض، وعدم التفريط بها أو الرحيل عنها إلى غيرها، ومنح بطون طيء وأفخاذها حق الاكتشاف والسَّبْق والغلبة عليها، ونشر ذلك في الجزيرة العربية؛ لمنع أيّ قبيلة أن تفكر بمزاحمة طيٍّء أو منافستها على أرضها في المستقبل.

ومع ذلك فبإمكاننا أن نلتقط بحذر شديد بعض الحقائق التي تعيننا في وصف البيئة الطبيعية لسكنى طيء قبل انبثاق نور الاسلام في مكة المكرمة، وبعد خضوع الجزيرة العربية كلِّها لحكم رسول الله ﷺ في المدينة المنورة. فمن المسلَّم به أن قبيلة طيٍّء قحطانية خرجت من اليمن بعد سَيْل العَرِم، وأنّها اهتدت إلى موطنها الجديد بعد أن صوَّبت شمالاً وتوغَّلت في بلاد الحجاز وقامت بجولاتٍ من البحث والتنقيب، وعندما وصلت إلى سفوح جبلي أجأ وسَلمى وجدت أرضاً واسعة، وماء وافراً، وكلأً غامراً، وشجراً يانعاً، فأحبوها كلَّ الحبِّ، وفرحوا بسهولها وجبالها، ورأوا فيها شبهاً قريباً بوطنهم الأول: اليمن السعيد، الذي أصبح شقيّاً بعد تهدُّم السدِّ ونزوح أهله عنه.. فاندفعوا يضربون في ساحاتها خيامهم، ويبنون في نجدها وحاضرها مساكنهم، ويسيمون في مراعيها المُعْشِبة أنعامهم.

الفصل الثاني
البيئة الاجتماعيّة والاقتصاديّة

تمهيد:

كانت قبيلة طيِّء ذات مكانة خطيرة في الجاهليّة، ودليل ذلك إطلاق اسمها عند بعض الكتبة الكلاسيكيين، وعند الفرس، والسريان، وعند يهود بابل، على جميع العرب[1]. والسبب هو قوة القبيلة، وكثرة عددها، وإمعانها في الغزو والحروب ومهاجمة الحدود.

الحياة الاجتماعية والاقتصادية:

إنّ الحياة الاجتماعية والاقتصادية في قبيلة طيّء تمثل الحياة في الجزيرة العربيَّة في أجلى صورها؛ فالقبيلة هي أساس الحياة الاجتماعية، والانتساب إليها يتمُّ عن طريق القرابة والزواج والولاء والحلف والعبيد الأرقاء، وكان لطيِّء حاضر وبادية؛ وهم في الحضر يعتمدون في معيشتهم على شيء من الزراعة في الأقل وعلى التجارة في الأكثر، أمّا في البادية

---

(١) المفصَّل: لجواد علي ٤/٤٥٠ ـ ٤٥١ بتصرف يسير.

فيعيشون على ماتنتجه الماشية؛ يأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، ويلبسون أصوافها، ويصنعون منها مساكنهم، ويعتمدون في تغذية ماشيتهم على ما ينبت في البادية من عشب فيخرجون بها إلى مناطق الخصب بعد مواسم الغيث.

ومن وسائل معيشتهم الغارة والسَّلْب، يغيرون على قبيلة معادية فيأخذون ماشيتهم ويقتلون رجالهم، ويسبُون نساءهم وأولادهم، ويكثر الاعتماد على هذه الوسيلة الجاهليّة في سنوات القحط والجَدْب، وكان في طيٍّء أشرار وقطّاع طرق[1]، يمتهنون قطع طرق القوافل التجاريّة القادمة من الحيرة أو الشام إلى قلب الجزيرة العربية وجنوبها، وكان لا يُطفىء سعيرَ طغيانهم إلّا ما يُدفع لهم من أموال في مقابل جواز التجارة من مناطق نفوذهم، فيتحولون عندها الى حُماة وهُداة وسائقين، حتى تبلغ التجارة غايتها.

وأفراد القبيلة متضامنون، ينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوماً، وإذا جنى أحدهم جناية حملتها القبيلة، وإذا غنموا فللرئيس[2] الرُّبْع، ومثلهم الأعلى في الأخلاق المروءة والكرم والعفة والشجاعة. والمرأة تجهد وتنصب في الأعمال اليومية، فهي تحتطب، وتجلب الماء، وتحلب الماشية، وتنسج

---

(١) انظر فتح الباري ٦/٦١٣.

(٢) يظهر من روايات الأخباريين أن رؤساء طيىء كانوا يحكمونها، وكانوا يُلقبون بملك. المفصل؛ لجواد علي ٤/٤٥٤.

الملابس، وتخيط الثياب، لكنها لا تغني غَنَاء الرجل ولا تسدُّ مسدّه في القتال والحروب.

علاقات القبيلة الداخلية والخارجية:

علاقات قبيلة طيِّء بالقبائل الأخرى كانت متغيِّرة ومتحوِّلة، لأنها لا تقوم على أسس ثابتة، وإنما تخضع للأهواء والأحوال المتغيرة، وأوضح مثال على ذلك علاقة طيّء ببني أسد، فقد سكنت طيِّء أول الأمر في جوار بني أسد،ثم انتزعوا منهم أجأ وسلمى، وبعد مدة تحالفت القبيلتان، رغم أنَّ إحداهما قحطانية، والثانية مُضَريَّة، وانضم إليهما بنو ضبّة بعد تحولهم عن بني تميم، وخاض الجميع حرباً ضد بني يربوع وهزموهم. ولكنَّ العلاقة ساءت بين طيِّء وبني أسد بعد ذلك ووقعت بينهما حروب، كان منها الحرب التي وقعت بالخصّ في العراق، على مقربة من قادسية الكوفة، وقد انتهت هذه الحرب بالصلح والعودة الى الحلف من جديد.

كما كانت علاقة طيِّء بعبس سيّئة للغاية وقد وقعت بينهما حروب وغزوات، قضت إحداها على حياة البطل الشهير عنترة ابن شدَّاد، فقد أغار عنترة مع قومه على بني نبهان من طيِّء، وهو شيخ كبير، فجعل يرتجز، وهو يطرد طريدة لطيِّء، فانهزمت عبس، وأصيب عنترة بجرح قضى عليه.

ومن حروبهم مع القبائل المجاورة؛ أنهم أغاروا على إياد

ابن نزار بن معدٍّ، يومَ رحى جابر، فظفروا بهم وغنموا وسبَوا. وقد غزاهم عمرو بن هند بن المنذر، وأسر من رهط حاتم الطائي سبعين رجلاً، ثم توسَّط حاتم في إطلاقهم، فوهبهم عمرو له. كما غزا طيِّئاً أسعد بن الغدير، وابنه كعب، وابن أخته أبو سلمى، وغنموا منهم.

أمّا علاقة طيٍّء بالفرس فكانت حسنة، بدليل أنَّ الملك النعمان لما أراد الالتجاء إليهم؛ ليمنعوه من الفرس، وكان قد صاهرهم وتزوَّج امرأتين منهم؛ رفضوا جواره، وامتنعوا عن مساعدته، وقالوا له: لولا صهرك فينا قاتلناك، فإنَّه لا حاجة لنا في معاداة كسرى. كما أنَّ علاقتهم بالروم لا بأس بها؛ لِمَا بينهما من الديانة المشتركة، وبدليل هروب عديّ إلى الشام، وفي بعض الروايات إلى قيصر، بعد أن سمع بخيل رسول الله ﷺ قد وصلت بلاد طَيٍّء[١].

من أيّام العرب يوم اليحاميم:

لم تقتصر غزوات طيٍّء وحروبها على القبائل العربيّة المجاورة لها، بل دارت رحى الحرب فيها بين بطنين من أهم بطونها وهما: جديلة، والغوث، فكان يوم اليحاميم[٢]، وهو

(١) معجم قبائل العرب؛ لرضا لحالة ٢/٦٩٠، والمفصَّل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٤/٤٥٢ بتصرف.

(٢) اليحاميم: ماء على طريق مكة.

أحد أيام العرب المشهورة في الجاهلية، ونذكر وقائعه هنا لماله من صلة وثيقة بحياة قبيلة طيٍّء وحياة رئيسها عديٍّ قبل الإسلام:

«كان الحارثُ بن جَبَلة الغسّانيّ قد أصلح بين قبائل طيّء، فلما هلك عادت إلى حربِها، فالتقتْ جديلةُ والغوثُ بموضع في حربٍ، فقُتِل قائد بني جديلة وهو أسبع بن عمرو ابن لأم، وأخذ رجلٌ من سِنْبِس أذنيه فخصفَ بهما نَعْليه. وفي ذلك قال أبو سروة السنبسي:

نَخصِفُ بالآذان منكمْ نِعَالنا ونشربُ كُرْهاً منكمُ في الجماجم

وتقاول الحيّان في ذلك أشعاراً كثيرة.

وعظُم ما صنعت الغوثُ على أوس بن حارثة بن لأم، وعزم على لقاء الحرب بنفسه، وكان لم يشهد الحروب المتقدِّمة، هو ولا أحد من رؤساء طيٍّء، كحاتم بن عبد الله، وزيد الخيل، وغيرهم من الرؤساء، فلما تجهَّز أوس للحرب، وأخذ في جمع جديلة ولَفِّها قال أبو جابر:

أقيموا علينا القصد يا آل طيٍّء وإلَّا فإنَّ العلمَ عند التَّحَاسُبِ
فمن مثلُنا يوماً إذا الحربُ شمَّرت ومن مثلنا يوماً إذا لم تحاسب

وبلغ الغوثَ جمعُ أوس لها، وأوقدت النار على ذروة أجأ ـ وذلك أول يوم تُوقد عليه النار ـ فأقبلت قبائل الغَوْث كل قبيلة وعليها رئيسُها، ومنهم زيد الخيل وحاتم.

وأقبلت جديلة مجتمعة على أوس بن حـارثة بن لأم، وحلف أوس ألاَّ يرجع عن طيّء حتى ينزل معها جَبَلْيها أجأ وسَلمى، وتُجبى له أهلها، وتزاحفوا فاقتتلوا قتالاً شديداً.

قال عديٌّ بن حاتم: إنِّي لواقفٌ يوم اليحاميم والناس يقتتلون إذ نظرت إلى زيد الخيل قد أحضر ابنيه مُكْنِفاً وحُرَيْثاً في شِعْب لا منفذ له وهو يقول: أيْ بنيّ؛ أبْقِيا على قومكما، فإنَّ اليوم يوم التَّفاني، فإن يكن هؤلاء أعماماً فهؤلاء أخوال، فقلتُ: كأنك قد كرهت قتال أخوالك، فاحمرتْ عيناه غضباً، وتطاول إليّ حتى نظرتُ إلى ما تحته من سَرْجه فخفته، فضربتُ فرسي، وتنحيتُ عنه، واشتغل بنظره إليَّ عن ابنيه، فخرجـا كالصَّقريْن، ثم انهزمتْ جديلةُ عند ذلك، وقُتل فيها قتلٌ ذريع.

فلم تبقَ لجديلة بقية للحرب بعد يوم اليحاميم، فدخلوا بلادَ كلْب، فحالفوهم وأقاموا معهم[١]».

وقد أضعفت الحياة البدوية القاسية، والعادات والتقاليد الجاهليّة، والحروب القبليّة المدمِّرة هذه القبيلة، توطئة لظهور الاسلام وانتصاره في الجزيرة العربية، لتجد القبيلة نفسها في موكب الإيمان، ولتأخذ دورها المجيد في تثبيت دولة الاسلام ونشر دعوته في الأرض، وتحطيم كلِّ الطواغيت. .

---

(١) أيام العرب في الجاهلية، لمحمد أحمد جاد المولى وزميليه، والكامل لابـن الأثير ١ /٣٨٨.

الفصل الثالث

البيئة الدّينيّة

الشرك في حياة العرب:

كان الشرك هو دين العرب العام في الجاهليّة، فهم يؤمنون بوجود الله الخالق لهذا الكون، ويشركون به في العبادة؛ فيعبدون آلهة أخرى، ويقدِّمون لها شعائر التعبّد، ويتوجَّهون لها بالدعاء، ويجعلونها واسطة بينهم وبين الله؛ قال الله تعالى: (ولئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ والأرض لَيَقُولُنَّ الله) [لقمان: ٢٥].

ونستطيع أن نجمل أنواع الشرك الجاهليِّ وصورَهُ في ثلاث صور:

١ ـ شرك الطَّاعة والاتِّباع: ويتمثَّل هذا في ولائهم المطلق للقبيلة، حتى تصبح القبيلة في حياتهم كالربِّ المعبود تحلِّل لهم وتحرِّم، ويظهر هذا في قول أحدهم:

وهل أنا إلاّ من غَزِيّة إنْ غَوَتْ   غَوَيْتُ وإن تَرْشُدْ غَزِيّةُ أَرْشُدِ

كما كان عُرْف الآباء والأجداد ربّاً يُعبد من دون الله ويتَّبع

ويطاع؛ قال الله تعالى:

(وإذا قيل لهم اتَّبعوا ما أَنْزَلَ الله قالوا بلْ نتَّبعُ ما ألفَيْنا عليه آباءَنا) [البقرة: ١٧٠].

٢ ـ شرك التقرُّب والزُّلْفى: وتندرج تحته كلُّ صور عبادة الأصنام والأنصاب والأوثان، التي هي بمثابة أرباب صغيرة، يقربهم التمسح بها، والسجود لها، والدعاء عندها، من الله الخالق الموصوف بربِّ الأرباب، قال تعالى:

(والذين اتَّخَذُوا من دُونِه أَوْلَياءَ ما نعبُدُهُم إلّا ليقربُونَا إلى الله زُلْفَى) [الزمر: ٣].

٣ ـ شرك طلب الشفاعة: وهذه الصورة من الشِّرك تشدُّهم إلى آلهتهم أكثر، لاعتقادهم أنَّهم أصحاب كلمة مسموعة عند الله؛ لقربهم منه، وأن الله يجيب طلباتهم ويقبل وساطتهم وشفاعاتهم، قال تعالى: [يونس: ١٨] «ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله» ولهذا عبدوا الملائكة لأنَّهم بنات الله حسب زعمهم، وعبدوا الجنّ باعتبارهم شركاء لله.

هذا ولا تخلو الجزيرة العربية من أناس عبدوا الكواكب كالصابئة، أو اتخذوا من النَّصرانية المحرَّفة ديناً.

وقبيلة طيِّء في تدينها أوضح مثال على الحياة الدينية في الجاهلية، وما وصلت إليه من تعدُّدٍ في الأديان والآلهة،

وانغماس في الوثنيّة السخيفة؛ إذ نجد فيها عبادة الـكواكب، كما نجد فيها نصرانية تائهة، ووثنية شوهاء.

أصنام طيٍّء[1]:

إنَّ المتتبع للأخبـار القليلة المتناثـرة في كتب التاريـخ والأدب عن قبيلة طيٍّء يجد بعد البحث والعَنَاء أنَّها تعبّدت لأصنام عديدة منها:

١ ـ «الفَلْس»، وكان أنفاً أحمـر في وسط جبلهم الذي يقال له: أجَأ، أسود كأنه تمثال إنسان، وكانوا يعبدونه، ويهدون إليه، وَيْعتِرون عنده عتائرهم، ولا يأتيه خائف إلّا أمن عنده، ولا يَـطْردُ أحدٌ طـريدة فيلجـأ بها إليـه إلَّا تُركت لـه ولم تُخفر حَويَّته[2].

وكانت سدنته بنو بَوْلان، وبَوْلان هو الذي بدأ بعبادته.

٢ ـ «سُهَيْل» وأغـلب الظن أنَّ هذا الصنم الذي تعبَّدَتْ له طيٍّء ـ كان يرمز إلى النَّجم اللامع في السماء، وبعضهم يرى أنَّهم تعبَّدوا للنَّجم مباشرة.

٣ ـ «رُضـى» وهو من أصنام طيٍّء أيضاً، ويكتب «رضاء» في بعض الأحيان، وذكر ابن الكلبي أنَّه كان لبني ربيعة بن

---

(١) كتاب الأصنام لابن الكلبي ص ٥٩ ـ ٦٢، وكتاب المفصَّل في تاريخ العرب قبل الاسلام؛ لجواد علي ٢٦٨/٤ ـ ٢٧٠.

(٢) الحوية: استدارة كل شيء، والمعنى أنَّ ما صار في حوزته وحرمه يترك له.

كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، فهدمه المستوغر، وهو عمـرو بن ربيعة بن كعب، هـدمه في الإسـلام، وقال وهـو يكسره:

ولقد شدَدْتُ على رِضاء شدّةً   فتركتها تلًا تنازع أسحمـا

وقوله: «وتركتها» دليل على أنَّ هذا الصنم أنثى، وكان العرب في الجاهليّة يسمُّون «عبد رضى».

٤ ـ «اليعبوب»، وهو صنم لجديلة طيء، وكان لهم صنم أخذته منهم قبيلة بني أسد، وقيل: تركوه في ساحة القتال، فتبَّـدلوا اليعبـوب بعده، وقـد ورد ذكره في شعـرٍ لعُبيْـد بن الأبرص:

فتبَّدلوا اليعبوب بعد إلٰههم   صنماً، فقرُّوا، ياجُديلُ، وأعذبوا

أي لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا.

٥ ـ «يـاجر» وكان صنماً لـلأزد ومن جاورهـم من طيٍّء وقُضاعة.

انتشار النصرانية في طيٍّء:

ليس بعيداً أن تكون النصرانية قد انتشرت في قبيلة طيٍّء بسبب قربها من الحيرة والشام، واحتكاك أفرادها بالغسـاسنة والمناذرة في أسفارهم وتجاراتهم، أو بفعل القساوسة والرهبان

الذين كانوا يردون أسواق العرب، ويعظون ويُبشِّرون فيها، ويذكرون البعث والحساب والجنّة والنار. وهذا لا يعني أنَّ القبيلة كلَّها قد اعتنقت النصرانية، بل بقيت فيها الأصنام قائمة والوثنية موجودة حتى جاء الله بالإسلام وعمَّ بنوره وهداه الجزيرة العربية كلها..

ومن المفيد أن نؤكد هنا أنّ هذه الديانة التي اعتنقتها طيِّء إلى جانب بعض القبائل الأخرى في شمال الجزيرة كانت سطحية وهامشيّة جداً في حياتهم، فهي لم تترك أيَّ أثر في أدبهم وشعرهم، ولم يكن لها أيُّ تأثير في عقليتهم وحروبهم. وهي إلى جانب ذلك نصرانية مجهولة الشيعة أو المذهب، ولم تحرك في معتنقيها أيَّ جدل كلاميٍّ في طبيعة المسيح وألوهيته؛ كما هو حال النصارى واعتقادهم، وقد رضي دعاتُها أن تتعايش مع أصنام العرب وأوثانهم بذلَّة وخنوع. وعندما ننظر في كتاب «شعراء النصرانية في العصر الجاهلي» نجده قد عدَّ حاتم بن عبد الله الطائي بين الشعراء النَّصارى، مع ملاحظة أنَّ الكتاب يتلمَّس ويتكلَّف كلَّ وسيلة لعدِّ الشاعر نصرانياً، والإشادة بذكر كل شاعر نصراني!!.. ونستنتج من زعم جامع هذا الكتاب أنَّ عديّ بن حاتم نصرانيٌ بالوراثة، ويبطله ما تقرؤه في كتاب «الأصنام» لابن الكلبي حيث يقول عند ذكر صنم الفَلْس[1]:

«وكانت سدنته بنو بَوْلان. وبَوْلان هو الذي بدأ بعبادته.

(١) الأصنام، لابن الكلبي ص ٥٩ ـ ٦٢.

فكان آخر من سدنه منهم رجلٌ يقال له صيفيٌّ، فأطردَ ناقة خليّة[1] لامرأة من كلب من بني عُلَيم كانت جارة لمالك بن كلثوم الشَّمَجيّ ـ وكان شريفاً ـ فانطلق بها حتى وقفها بفناء الفَلْس. وخرجت جارة مالك فأخبرته بذهابه بناقتها، فركب فرساً عُرْياً، وأخذ رمحه، وخرج في أثره، فأدركه وهو عند الفَلْس، والناقة موقوفة عند الفَلْس. فقال له: خلِّ سبيل ناقة جارتي، فقال: إنها لربّكَ! قال: خلِّ سبيلها. قال: أتخفر إلهك؟ فبوَّأ[2] له الرمح، فحلَّ عقالها وانصرف بها مالك. وأقبل السادنُ على الفَلْس، ونظر إلى مالكٍ ورفع يده وقال: وهو يشير بيده إليه:

يا ربّ إنَّ مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بناب عُلكوم
وكنت قبل اليوم غير مغشوم[3]

يحرِّضه عليه. وعديٌّ بن حاتم يومئذٍ قد عتر[4] عنده وجلس هو ونفر معه يتحدَّثون بما صنع مالكٌ. وفزع لذلك عديٌّ بن حاتم وقال: انظروا ما يُصيبه في يومه هذا. فمضت له أيامٌ لم يُصبه شيء، فرفض عديٌّ عبادته وعبادة الأصنام، وتنصَّر. فلم يزل متنصراً حتى جاء الله بالاسلام، فأسلم.

(١) الناقة الخلية: التي تنتج وهي غزيرة، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى، وتخلّى هي للحلب.

(٢) بوّأ الرمح نحوه: قابله به.

(٣) مغشوم: مظلوم.

(٤) عتر: ذبح عتيرة، والعتيرة بوزن الذبيحة: شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم.

فكان مالك أول من أخفره، فكان بعد ذلك السادنُ إذا أطرد طريدةً، أخذتْ منه».

فعديٌّ إذاً كان وثنيّاً ثمَّ تنصَّر، ولم يرث النصرانية من أبيه، الذي نشكُّ في نصرانيته. وفي سنن الترمذيّ أنَّ عدياً أتى النبيَّ ﷺ وفي عنقه صليبٌ من ذهب، فقال له النبي ﷺ: «يا عديّ، اطرحْ عنك هذا الوثن»[1]. وقد اعترف أمامَ النبي أنَّه ركوسيٌّ، والرّكوسيّة دين بين النَّصرانية والصابئة، كما اعترف أنَّه بقي يأخذ ربع غنائم قومه؛ مع أنَّ دينه الجديد يحرِّم عليه هذه العادة المتَّبعة لدى العرب الوثنيين. . وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أنَّ النصرانية التي انتشرت في طيٍّء كانت سطحية وهامشية، وبقيت غريبة بتثليثها للآلهة وجدلها البزنطي العقيم ـ عن العقليّة العربيّة، فكان من السهل على الطائيِّين أن يتخلَّوا عنها، وأن يدخلوا في دين الإسلام أفراداً وجماعات.

موقف الترقب:

ظهر نور الإسلام في مكَّة المكرَّمة، وأخذ يعمُّ بضيائه قلوب المسلمين الأوائل وأمضى الرسول ﷺ ثلاثة عشر عاماً من تحمِّل الأذى ومكابدة المشاق في عرض الإسلام على القبائل في المواسم، وكان قومُه قريش حجَر عثرة وقدوةَ كفر وعناد لجميع العرب. ثم جعل الله لرسوله وللمسلمين معه فرجاً ومخرجاً، فكانت الهجرة إلى المدينة بعد بَيْعة العَقَبة

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير (باب ١٠) رقم: ٣٠٩٥.

الثانية، وفي دار الهجرة أخذ رسول الله يبني معالم الدولة المسلمة بعد أن أصبح للمسلمين أرض ووطن، وتتابعت سنوات العهد المدني حُبْلى بالخير والعطاء، تضمُّ أيامُها وشهورُها سرايا وغزوات، وفتوحاً وانتصارات، حتى كانت السنة التاسعة للهجرة، وفيها خضعت الجزيرة كلُّها لحكم رسول الله ودانت أكثر قبائل العرب للإسلام.

وبقيت قبيلة طيِّء طيلة هذه السنوات المديدة تترقب من بُعْد المعركة الدائرة بين الإسلام والشرك، وتصرُّ على أديانها المختلفة وأصنامها المتعدِّدة، إلى أن قطع بعض الزعماء والوجهاء فيها هذا التردّد، وقدموا على رسول الله ﷺ في وفد يمثل القبيلة.

وفد قبيلة طيِّء:

قدم وفد طيِّء في السنة التاسعة للهجرة، وكانوا خمسة عشر رجلاً، وفيهم زيد الخيل بن مُهَلْهِل بن زيد بن منهب بن عبدٍ الطائيّ، وكان زيدٌ خطيباً شاعراً كريماً، فعقلوا رواحلهم بِفناء المسجد، ودخلوا وجلسوا قريباً من النبي ﷺ حيث يسمعون صوته، فلمَّا نظر عليه الصلاة والسلام إليهم قال: «إنِّي خير لكم من العُزّى، ومن الجمل الأسود[١]

---

(١) الجمل الأسود: قال بعضهم: إنّ النبي ﷺ أراد بالجمل الأسود «الفَلس» فإنه كانت هيئته كالجمل الأسود، وقيل: إنَّ طيئاً عبدوا الحيوان الحيّ نفسه. التاريخ الاسلامي العام. د. علي ابراهيم حسن ص (١٥٨).

الذي تعبدون من دون الله، وممّا حازت مناع[١]، ولاتها، من كل ضار غير نفّاع» فقام زيد الخيل ـ وكان من أعظمهم خَلْقاً وأحسنهم وجهاً وشعراً، وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه في الأرض كأنّه حمار ـ فقال له النبي ﷺ ـ ولا يعرفه ـ: «الحمد لله الذي أتى بك من حَزْنك وسهلك، وسهَّل قلبك للإيمان» ثم قبض على يده فقال: «من أنت؟» فقال: أنا زيد الخيل بن مُهَلْهِل. أنا أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّك عبد الله ورسوله.

فقال له: «بل أنت زيد الخير ما أُخبرت عن رجل قطُّ شيئاً إلَّا رأيته دون ما خُبّرت عنه غيرك» فبايعه وحسن إسلامه، وأسلم من كان معه من كبراء طيٍّء وحسن إسلامهم، وكتب النبي لكل واحدٍ منهم كتاباً على قومه؛ إلَّا وَزَر بن سدوس النَّبهاني، فقال:

إنِّي أرى رجلاً تملَّك رقاب العرب، والله لا يملك رقبتي عربيٌّ أبداً، ثم لحق بالشام وتنصّر وحلق رأسه.

وخرج زيدٌ من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه، بعد أن قطعَ له النبي فَيْداً[٢] وأرضين معه، وكتب له بذلك. وقال رسول الله: «إن ينج زيدٌ من حُمّى المدينة فإنّه[٣]». فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يُقال له فَرْدَة أصابته الحمّى فمات بها، ولمّا أحسَّ بالموت قال:

(١) مناع: في معجم البكري: هضبة في جبال طيء، أو هو اسم لجبل أجأ، سمِّي بذلك لامتناعهم فيه من ملوك العرب والعجم.

(٢) فَيْد: موضع بشرق سلمى أحد جبلي طيء.

(٣) فإنه: أي فإنه لا يُعاب بسوء.

أمرتحلُ قومي المشارقَ غُدْوَةً وأُتركُ في بيتٍ بفَرْدَة مُنْجدِ
ألاَ رُبَّ يومٍ لومرضتُ لعادني عوائدُ مَنْ لم يُبْر منهن يَجْهَد

ولما مات عهدت امرأته لجهلها وقلّة عقلها إلى ما معه من الكتب فحرقتها بالنار.

ولزيد الخير ابنان «مكْنَف» و«حُرَيث»، أسلما، وصحبا رسول الله ﷺ، وشهدا قتال أهل الرِّدَّة مع خالد بن الوليد رضي الله عنهم[1].

غزوة طيٍّ وهدم الفَلْس:

وفي شهر ربيع الآخر من السنة التاسعة نفسها أرسل النبي ﷺ عليَّ بن أبي طالب في سرية الى ديار طيٍّء، وأمره أن يهدم صنمهم الفَلْس، فسار إليهم، وأغار عليهم، فغنم وسبى وكسَّر الصَّنم، وكان متقلِّداً سيفين، يقال لأحدهما مخذم وللآخر رسوب، فأخذهما علي، وحملهما إلى رسول الله ﷺ، وكان الحارث بن أبي شَمِر أهدى السَّيفين للصَّنم فعُلّقا عليه. وأسر بنتاً لحاتم الطائي، وحُملت إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فأطلقها[2].

---

(١) الروض الأُنُف، للسُّهيلي ٧/٤٤٧ ٤٥٠. وشرح المواهب اللَّدنية؛ للزرقاني ٤/٢٥- ٢٦.
(٢) الكامل في التاريخ؛ لابن الأثير ٢/١٩٤ - ١٩٥.

وفي «مغازي الواقدي» عن ابن حزم قال: «بعث رسول الله ﷺ علياً في خمسين ومائة رجل على مائة بعير وخمسين فرساً، وليس في السَّريّة إلّا أنصاريّ، فيها وجوه الأوس والخزرج، فاجتنبوا الخيل واعتقبوا على الإبل حتى أغاروا على أحياء من العرب، وسألوا عن محلَّة آل حاتم ثم نزل عليها، فشنُّوا الغارة مع الفجر، فسَبَوا حتى ملأوا أيديهم من السَّبْيِ والنَّعَم والشَّاء، وهدموا الفَلْس وخربوه، وكان صنماً لطيِّء، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة»[١].

وكان لهذه السَّريّة الموفَّقة أثر بالغ في القضاء التام على وثنيّة طيِّء، وفتح قلوبهم وعقولهم للإسلام، كما كانت سبباً في هروب عديّ بن حاتم إلى الشَّام، ثم قدومه إلى المدينة المنوَّرة ودخوله في الإسلام. وبدأت قبيلة طيِّء منذ بداية السنة العاشرة للهجرة تعوِّض ما فاتها، وتخطُّ في ذاكرة الزمن أمجاداً إسلاميّة خالدة؛ أجملها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، عندما قال لوفدٍ من طيِّء:

«جزاكم الله خيراً، فقد أسلمتم طائعين، وقاتلتم المرتدين، ووافيتم بصدقاتكم المسلمين».

---

(١) كتاب المغازي؛ للواقدي ٣/٩٨٤.

الباب الثاني

حياة عديّ

الفصل الأول نشأته

الفصل الثاني الهروب

الفصل الثالث قدومه على النبيّ وإسلامه

الفصل الرابع عاملٌ على الصدقة

الفصل الخامس أمير طيّء وفارسها في الفتوحات

الفصل السادس موقفه من الفتنة

الفصل السابع عديٌّ يودّع الحياة

الفصل الأول

نَشأتُــهُ

اسمه ونسبه:

هو عديٌّ بن حاتم، بن عبد الله، بن سعد، بن حَشْرج، ابن امرىء القيس، بن عديّ، بن ربيعـة، بن جَرْول (بفتـح الجيم وإسكان الراء) بن ثُعَل (بضم الثاء المثلّثة وفتح العين المهملة) بن عمرو، بن الغَوث، بن طيٍّء، بن زيد، بن أَدَد، بن زيـد، بن كهـلان، بن يشجب، بن يعــرب، بن قحـطان، الطائي[1].

قال النووي في «تهذيب الأسماء واللغـات»[1] والحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[2]: ويختلف النسَّابون في بعض الأسماء إلى طيٍّء.

وهذا الاسم «عَديّ» مشهور ومتداولٌ لدى كثير من القبائل العربية قبل الإسلام بأجيال عديدة. ومع التسليم بأنَّ الأسماء لا تُعَلَّل؛ فإنَّ العرب ربَّما كانوا يسمُّون أبناءهم بهذا الاسم تفاؤلاً

(١) تهذيب الأسماء واللغات؛ للنووي ١/٣٢٧.
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣/٤٢٠.

بأن يكون الواحد منهم فارساً مغواراً، يعدو للقتال ويحمل على الأعداء دون تردُّد أو وَجَل.

كنيته:

أبو طريف[1]، وقيل: أبو وَهْب. والملاحظ أنَّ كتب السِّيَر والتراجم تتردَّد بين هاتين الكنتين، وتختلف في تغليب إحداهما. ولكنَّ كتب الحديث تجزم بأنَّه أبو طريف، ولشهرته بها تُقَدَّمُ على اسمه عند ذكر حديث من أحاديثه المرفوعة أو الموقوفة، ففي البخاري ومسلم وغيرهما كثيراً ما نجد: «عن أبي طريف عديٍّ بن حاتم الطائي..» إلخ..

أبوه:

حاتم بن[2] عبد الله، بن سعد، بن الحَشْرج، من طيٍّء، وأمُّ حاتمٍ غُنْيَة بنت عفيف من طيٍّء أيضاً.

ويكنى حاتم أبا سَفَّانة وأبا عديّ، كنِّي ذلك بابنته سفَّانة[3] وهي أكبر ولده، وبابنه عديّ.. وله من الأولاد أيضاً عبد الله،

(١) الأعلام؛ للزركلي ٥/٨.

(٢) ترجمة حاتم الطائي في: تهذيب ابن عساكر ٣/٤٢٠ - ٤٢٩، والخزانة للبغدادي ١/٤٩٤ والسيرة النبوية: لابن كثير ١/١٠٧ - ١١٥، والشعر والشعراء؛ لابن قتيبة ١/١٦٤ - ١٧٠.

(٣) السّفانة: معناها الدرّة.

ثلاثتهم من زوجه النَّوَار. وعقب حاتم من ولده عبد الله، أما عديّ فليس له عقبٌ من الذكور. وقيل: إن حاتماً تزوَّج ثانية من ماوِية بنت عفزر، من بنات ملوك اليمن، وكانت تحبُّ الكرم والكرماء ولم تُنجب له أولاداً. وكان حاتم جواداً شاعراً جيِّد الشعر، وكان حيثما نزل عرف منزله، وكان ظَفِراً، إذا قاتل غلبَ، وإذا غنم أنْهب، وإذا سُئِل وهب، وإذا ضَرَبَ بالقداح سبق، وإذا أسَرَ أطلق.

ومرَّ في سفره على قبيلة عَنَزَة وفيهم أسير، فاستغاث به الأسير ولم يحضره فِكاكه، فاشتراه من العنزيِّين، وأقام مكانه في القيد حتى أدَّى فداءَه.

وقسم مالَه بضع عشرة مرة، وكان أقسم بالله لا يقتل واحدَ أمِّه.

قال أبو عبيدة: أجوادُ العرب ثلاثة: كعب بن مامة، وحاتم طيِّء ـ وكلاهما ضُرِب به المثل ـ وهَرِم بن سِنان صاحب زهير. وفي مجمع الأمثال لأبي هلال العسكري ١/٣٣٦: أجودُ من حاتِمٍ.

وكانت لحاتم قدور عظامٌ بفِنائه، لا تنزل عن الأثافي، وإذا أهلَّ رجب نحر كلَّ يوم وأطعم.

ولم يكن هذا الجود والسخاء غريباً عن نشأة حاتم، فقد وُلد في أسرة كريمة تميزت فيها الأمّ بالكرم، فورث «حاتم» من

أمّه هذه الصفة حتى كأنَّها امتزجت مع حليبها في خلايا جسده، فأصبحت صفةً طبيعية، وسجيّة خُلقيةً له، ففي كتاب «السيرة النبوية» لابن كثير: قال محمد بن جعفر الخرائطي في كتاب «مكارم الأخلاق»: حدثنا العباس بن الفضل الرَّبَعي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثني حمّاد الراوية ومشيخة من مشيخة طيِّء، قالوا: كانت غُنْيَة[1] بنت عفيف بن عمرو بن امرىء القيس أمُّ حاتم طيِّء، لا تمسك شيئاً سخاءً وجوداً، وكان إخوتها يمنعونها فتأبى، وكانت امرأة موسرة، فحبسوها في بيتٍ سَنَة يُطعمونها قُوتها لعلَّها تكفُّ عمَّا تصنع، ثم أخرجوها بعد سنةٍ، وقد ظنُّوا أنَّها قد تركت ذلك الخُلقَ، فدفعوا إليها صِرْمَةً من مالها، وقالوا استمتعي بها. فأتتها امرأة من هوازن وكانت تغشاها فسألتها، فقالت: دونك هذه الصِّرْمة، فقد والله مَسَّني من الجوعِ ما آليتُ أن لا أمنعَ سائلاً، ثم أنشأت تقولُ:

لعَمْري لِقدْماً عضَّني الجوعُ عَضَّة ... فآليتُ ألَّا أمْنَعَ الدهرَ جائِعاً
فقُولا لهذا اللاَّئمي اليومَ أعفِني ... وإنْ أنت لم تفعلْ فعَضَّ الأصابعَا
فماذا عساكمْ أن تقولوا لأختكم ... سوى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَنْ كان مانِعَا
مُعاذاً تَرَون اليوم إلَّا طبيعةً ... فكيف بترْكي يا بن أمِّي الطَّبائعا

ونقتطف بعض الأخبار التي تشهد بكرم هذا الرجل،

(١) في السيرة المطبوعة ١/ ١١٤ «عنترة»، وفي الشعر والشعراء ١/ ١٦٥ «عنبة» وما أثبتناه هو الصحيح المذكور في كتاب مكارم الأخلاق ومختار الأغاني والديوان. وقال البكري: وصواب اسمها «عنبة» وقد تصحَّف في عامة الكتب بعتبة وغنية. انظر سمط اللآلىء ٣/ ١٣.

ونتعرف من خلالها على أسرة حاتم التي كانت تعاني أحيانا ألم الجوع والبؤس، فتصبر مع راعيها على ذلك، حتى إذا ما دُعي إلى البذل وتلبية نداء الحاجة والعَوَز؛ نراه يهبُّ مسرعاً ليضحِّي في سبيل ذلك بكلٍّ ما يملك، ولنسمع زوجته النَّوَار تحدثنا عن بعض أخباره العجيبة في الكرم فتقول:

«كلُّ أمره كان عجباً! أصابتنا سنة حصَّت(١) كلَّ شيء، فاقشعرَّت لها الأرض، واغبرَّت لها السماء، وضنَّت المراضع على أولادها، وراحت الإبلُ حُدْباً حدابير(٢) ما تبضُّ بقطرةٍ، وحَلَقت المال.

وإنَّا لفي ليلةٍ صِنَّبْرٍ(٣)، بعيدة ما بين الطَّرفين، إذ تضاغَى الأصبيةُ من الجوع: عبد الله، وعدِيّ، وسفَّانة، فوالله إنْ وجدنا شيئاً نعلِّلهم به، فقام إلى أحد الصبيان فحمله، وقمت الى الصبيّة فعلَّلْتها، فوالله إنْ سَكَتا إلاَّ بعد هَدْأة من الليل، ثم عدنا إلى الصبي الآخر فعَلَّلْناه حتى سكت وما كاد. ثم افترشنا قطيفةً لنا شاميّة ذات خمْلٍ فأضجعنا الصبيانَ عليها، ونمت أنا وهو في حجرة والصبيان بيننا، ثم أقبلَ عليَّ يعلّلني لأنام، وعرفتُ ما يريدُ فتناومتُ، فقال: مالكِ أنمتِ؟ فسكتُّ، فقال: ما أراها إلاَّ قد نامت، وما بي نوم.

(١) حصَّت: الحصّ: حلق الشعر، والمراد أهلكت كل شيء.
(٢) حُدْباً حدابير: الحدب: الإبل التي ظهرت حراقيف ظهورها. والحدابير: الإبل الضامرة.
(٣) صِنبِّرْ: باردة.

فلمَّا ادلهمَّ الليل، وتهوَّرت[1] النجوم، وهدأت الأصوات، وسكنت الرِّجْلُ، إذا جانبُ البيت قد رُفِعَ، فقال: من هذا؟ فولَّى. حتى قلت إذاً قد أسحرنا أو كِدْنا عاد فقال: من هذا؟ قالت: جارتُك فلانة يا أبا عديّ، ما وجدتُ على أحدٍ مُعَوّلاً غيرك، أتيتُك من عند أصبيةٍ يتعاوَون عُواء الذئاب من الجوع. قال: أعجليهم عليَّ.

قالت النَّوّار: فوثبتُ فقلت: ماذا صنعتَ؟ اضطجع والله لقد تضاغى أصبيتك فما وجدت ما تعلِّلهم، فكيف بهذه وبولدها؟ فقال: اسكتي، فوالله لأشبعنَّك إن شاء الله.

قالت: فأقبلتْ تحملُ اثنين وتمشي جنبتيها أربعة كأنها نعامة حولها رئالُها[2]، فقام الى فرسه فوجأ بحربته في لبَّته، ثم قدحَ زنده وأورى ناره، ثم جاء بمُدْية فكشط عن جلده، ثم دفع المدية إلى المرأة ثم قال دونك. ثم قال: ابعثي صبيانك. فبعثْتهم. ثم قال: سوءةً، أتأكلون شيئاً دون أهل الصِّرم! فجعل يطوف فيهم حتى هبُّوا وأقبلوا عليه، والتفع في ثوبه، ثم اضطجع ناحية ينظر إلينا، والله ما ذاق مُزْعة، وإنه لأجوعهم إليه، فأصبحنا وما على الأرض منه إلَّا عظم أو حافرٌ[3]!».

---

(١) تهورت النجوم: غاب أكثرها ولم تعد العين تراها.

(٢) رئالها: الرئال جمع رأل، وهو ولد الظبية.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير. ١/١٠٩ ـ ١١٠، والشعر والشعراء؛ لابن قتيبة ١/١٦٦ ـ ١٦٧.

وقالت امرأة حاتم لحاتم: يا أبا سفَّانة أشتهي أن آكل أنا وأنت طعاماً وحدنا ليس عليه أحد. فأمرها فحولَّتْ خيمتَها من الجماعة على فرسخ، وأمر بالطعام فهُيِّىء، وهي مرخاة ستورها عليه وعليها، فلما قاربَ نضج الطعام كشف عن رأسه ثم قال:

فلاتَطْبُخي قِدْرِي وسِتْرُكِ دُونَها ... عليَّ إذن ما تطبخين حَرَامُ
ولكن بهذاك اليَفَاع فأوقِدي ... بجَزْلٍ إذا أوقدتِ لا بِضِرامِ

قال: ثم كشف الستور وقدَّم الطعام ودعا الناس، فأكل وأكلوا. فقالتْ: ما أتممتَ لي ما قلتَ. فأجابها: فإنِّي لا تطاوعني نفسي، ونفسي أكرمُ عليّ من أن يُثْنَى عليَّ هذا وقد سبق لي السَّخاء. ثم أنشأ يقول:

أمارسُ نفسَ البخل حتى أعُزّها ... وأتركُ نفسَ الجود ما أستثيرُهَا
ولا تشتكيني جارتي غير أنَّها ... إذا غاب عنها بعلُها لا أزورُها
سيبلغُها خيري ويرجع بَعْلُها ... إليها ولم تُقْصَر عليها سُتُورُها[1]

وقال القاضي أبو الفرج المعافَى بن زكرياء الجديري: حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، حدثنا المبرِّد، أخبرني الثوري، عن أبي عبيدة قال: لمَّا بلغ حاتم طيِّء قول المتلمِّس:

قليلُ المال تُصْلِحه فيَبْقَى ... ولا يَبْقى الكثير على الفسادِ
وحفظُ المالِ خيرٌ من قناة ... وعَسْفٍ في البلاد بغير زاد

(١) السيرة النبوية؛ لابن كثير ١/١١١، وتهذيب ابن عساكر ٣/٤٢١ ـ ٤٢٩.

قال: ماله قطع الله لسانه حمل الناس على البخل؟! فهلَّا قال:

فلا الجودُ يُفْني المالَ قبل فنائِهِ ... ولا البخلُ في مال الشحيح يزيدُ
فلا تلتمسْ مالاً بعيشٍ مقتَّرٍ ... لكلِّ غدٍ رزقٌ يعودُ جديدُ
ألم ترَ أنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ ... وأنَّ الذي يُعطيك غير بعيد

قال القاضي أبو الفرج: وقد أحسن في قوله: «وأنَّ الذي يُعطيك غير بعيد»، ولو كان مسلماً لرُجِيَ له الخير في مَعَادِهِ، وقد قال الله في كتابه: (واسألوا الله مِنْ فَضْلِهِ) وقال تعالى: (وإذا سَألكَ عِبادي عنِّي فإنِّي قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الـدَّاعِ إذا دَعَان)[1].

ومن عيون شعر حاتم الذي يظهر فيه فخره بكرمه وعفَّته وحماسه:

فأقسمتُ لا أمشي إلى سِرِّ جارة ... يَدَ الدهر[2]، ما دامَ الحمامَ يُغرِّدُ
ولا أشتري مالاً بغَدرٍ علمته ... ألا كلُّ مالٍ خالط الغدرُ أنكدُ
إذا كان بعضُ المال ربّاً لأهله، ... فإنِّي بحمد الله ـ مالي معبَّدُ[3]
يُفَكُّ به العاني، ويُؤكل طيِّباً، ... ويُعطى إذا مَنَّ البخيلُ المُصَرِّدُ[4]
إذا ما البخيل الليل أخمد نارَهُ ... أقولُ لمن يصْلَى بناريَ: أوقدوا[5]

(١) السيرة النبوية؛ لابن كثير ١/١١٢ ـ ١١٣، وتهذيب ابن عساكر ٣/٤٢٤.
(٢) يد الدهر: طول الدهر.
(٣) معبَّد: عبدٌ لي.
(٤) إذا مَنَّ البخيلُ المصرِّدُ: إذا أعطى البخيل قليلاً ثم مَنَّ على الذي أعطاه.
(٥) تاريخ الأدب العربي؛ لعمر فروخ ١/١٨٨.

ويمضي الأخباريون في تتبّع هذه القصص الممتعة عن كـرم حاتم، ويفجعهم المـوت بوفـاته، فيجمـح بهم الخيال ويصنعون له أسطورة في السَّخاء حتى بعد موته، ومن يدري فلعلَّ الطائيِّين ومعهم عديٌّ أرادوا أن يبقى حاتم كريماً جواداً حتى وهو راقد في قبره، فكانت هذه الحكاية العجيبة التالية:

«تذكر طيٍّء أنَّ رجلاً يعرف بأبي خيبري مَرَّ بقبر حاتم، فنزل به، وبات يناديه: يا أبا عديّ أقْرِ أضيافك! فلما كان في السَّحر وثب أبو خيبري يصيحُ: واراحلتاه! فقال له أصحابه: ما شأنك؟ فقال: خرج والله حاتم بالسَّيف حتى عَقَر ناقتيَّ وأنا أنظرُ إليه، فنظروا إلى راحلته فإذا هي لا تَنْبَعِثُ، فقالوا: قد ـ والله ـ قَـرَاكَ، فنحروهـا وظلُّوا يأكلون من لحمهـا، ثم أردفوه وانطلقوا، فبينا هم كذلك في مسيرهم، طلعَ عليهم عديٌّ بن حاتم ومعه جملٌ أسودُ قد قرنه ببعيره، فقال: إن حاتماً جاءني في المنام فذكر لي شَتْمَكَ إياهُ، وأنه قراكَ وأصحابَك راحلتك، وقد قال في ذلك أبياتاً، وردَّدها عليَّ حتى حفظتها:

أبـا خيبـريّ وأنت امـرؤٌ   حسـودُ العشيـرة لـوَّامهـا
فـمـاذا أردتَ إلـى رِمَّـةً   بـداويّـةٍ صَخِبٍ هـامُهـا
تُبَغِّي أذاهـا وإعسـارَهـا   وحـولك عـوفٌ وأنعـامهـا

وأمرني بدفع جملٍ مكانَها إليكَ، فخذه، فأخذه»[1].

---

(١) السيرة النبوية؛ لابن كثير ١/١١٥، وتهذيب ابن عساكر ٣/٤٢٤ والشعر والشعراء ١/١٧٠.

وقد مات حاتم في عوارض (جبل في بلاد طيِّء) سنة ٤٦ قبل الهجرة، وعاش ستين سنة[١].

في ميزان الاسلام:

وإذا كان هذا كرم حاتم، وكانت هذه أخلاقه، فإنَّه يطيب لنا أن نتعرف على قيمة ذلك في ميزان الإسلام، وذلك من خلال أقوال وردت عن رسول الله ﷺ تشهد للرجل وتحكم عليه في آن واحد:

روى البيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «يا سبحان الله! ما أزهد كثيراً من الناس في الخير! عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كان لا يرجو ثواباً، ولا يخشى عقاباً، لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاة.

فقام إليه رجل وقال: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين، أسمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم! وما هو خيرٌ منه، لمَّا أُتي بسبايا طيِّء وقعت جارية حمراء، لَعْساء، زَلْفاء، عَيْطاء، شَمَّاء الأنف، معتدلة القامة والهامة، دَرْماء الكعبين، خَدَلَّجة السّاقين، لَفَّاء الفخذين، خميصة الخَصْرين، ضامرة الكَشْحين،

(١) تاريخ الأدب العربي؛ لعمر فروخ ١٨٩/١، والأعلام للزركلي ١٥١/٤ الطبعة الرابعة.

مَصْقولة المتْنَين[1].

قال: فلما رأيتها أُعجبت بها وقلت لأطلبنّ إلى رسول الله ﷺ فيجعلها في فيئي، فلمَّا تكلَّمتْ أُنسيت جمالَها لما رأيتُ من فصاحتها، فقالت: يا محمد: إنْ رأيتَ أن تخلِّيَ عنِّي ولا تشمِّتَ بيٍ أحياءَ العرب، فإنِّي ابنةُ سيِّدِ قومه، وإنَّ أبي كان يحمي الذمار ويفكُّ العاني، ويشبع الجائعَ، ويكسو العاري، ويَقْرِي الضيفَ، ويُطعم الطعام، ويُفشي السَّلام، ولم يردَّ طالب حاجة قط. . أنا ابنة حاتم طيِّء.

فقال النبي ﷺ: يا جارية هذه صفة المؤمنين حقّاً، لو كان أبوكِ مؤمناً لترحَّمنا عليه، خلُّوا عنها فإنَّ أباها كان يُحِبُّ مكارم الأخلاق، والله تعالى يُحِبُّ مكارم الأخلاق.

فقام أبو بردة بن نيار[2] فقال: يا رسول الله، والله يحب مكارم الأخلاق؟.

فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يدخل الجنةَ أحدُ إلَّا بحسن الخلق»[3].

---

(١) اللعساء: الجارية في لونها أدنى سواد مشربة بالحمرة. الزلفاء: الملساء. العيطاء: طويلة العنق. الدرماء: التي لا تستبين كعوبها. الخدلجّة الساقين: الممتلئة الساقين. لفاء الفخذين: ضخمة الفخذين.

(٢) أبو بردة بن نيار: هو هاني بن نيار؛ كما في الكني والأسماء للدَّوّلابي ص ١٧.

(٣) السيرة النبوية؛ لابن كثير ١/١٠٨ ـ ١٠٩.

ويزيد الحافظ ابن كثير هذا البيان وضوحاً فيقول: وكانت لحاتم مآثر وأمور عجيبة، وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها، ولكن لم يكن يقصد بها وجه الله والدارَ الآخرة، وإنَّما كان قصدُه السمعة والذِّكر[1].

وروى البزار في مسنده، عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ذُكِر حاتم عند النبي ﷺ فقال: «ذاك أراد أمراً فأدركه»[1].

وفي مسند الإمام أحمد عن عديٍّ بن حاتم قال: قلت لرسول الله ﷺ: إنَّ أبي كان يَصِلُ الرَّحِمَ ويفعل ويفعل، فهل له في ذلك؟ يعني من أجر؟ قال: «إنَّ أباك طلب شيئاً فأصابه». ورواه أبو يعلي عن سِمَاك به. وقال: «إنَّ أباك أراد أمراً فأدْرَكه» يعني الذِّكر[1].

وإذا كان الرياءُ وقصدُ السُّمْعة والذِّكر يفسد عبادة المسلم، ويجعل كرمَه وجودَه مردوداً عليه؛ لأنه لم يقصد بذلك وجهَ الله تعالى، فمن باب أولى أن يجعلَه الله هباءً منثوراً في صحائف المشركين الجاهليين.

قال الله تعالى: ﴿وَقدِمْنَا إلى ما عَمِلُوا من عملٍ فجعلنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾.

---

(١) السيرة النبوية؛ لابن كثير ١/١٠٧ ـ ١٠٨.

أم عديٍّ

هي النَّوَار بنت ثرملة، بن برعامل، بن خيثم، بن أبي حارثة، بن عدي، بن تدول، بن بحتر، بن عتود، بن خنين، ابن سلامان، بن ثعل[1]. وقد ورد ذكرها في شعر حاتم، وبخاصَّة في مواقف اللَّوم لزوجها، لتحدَّ من كرمه الفيَّاض، مُذكِّرةً إيّاه بأولاده الثلاثة منها، وحقِّهم في الكفاية والشِّبع قبل إطعام الغرباء والضيفان، وهو موقف الأمومة الحنون الذي تُمدح به، والذي جاء الإسلام يرسِّخه في الحياة قانوناً متبعاً وتشريعاً مطاعاً، وذلك حينما يؤمر المُنْفِقُ بأن يبدأ بمن يعول، ثم يعمُّ بخيره وإحسانه الأقرب فالأقرب؛ وصدق الله العظيم: (الأقربون أولى بالمعروف).

نشأته:

في حجر هذين الأبوين العريقين في النَّسب والسؤدد تربَّى عديّ، وفي أحضان جَبَلَيْ طيِّءٍ أجأ وسلمى الشامخين وعلى سفوحهما نشأ وترعرع، تتعهده عناية أبٍ كريم رحيم، وتحنو عليه أمٌّ عطوفٌ رؤوم.

وإذا كان الطفلُ مسيَّراً في تحديد والديْه وزمان ومكان ولادته، ولا خيارَ له أبداً في ذلك ولا يُحاسبُ عليه ـ فإنَّ القدرة الإلهيَّة اختارت لعديٍّ أن يُولد في بيت عربيٍّ أصيل، ترفرفُ

(١) تهذيب الكمال؛ لأبي الحجاج المزي (مخطوط) ٥/٤٦٢.

عليه أعلامُ السيادة، ويدينُ له الناسُ بالاحترام والطّاعة، وتلفُّ جوانبَه الطمأنينةُ، فنما عديٌّ بين أخته سفّانة وأخيه عبد الله صحيحاً مُعافىٰ؛ كأجمل ما يكون فتىً، وأنضر ما تكون طفولة. ومنذ نعومة أظفاره عرف أنَّه سيخلف أباه حاتماً في الرئاسة والسِّيادة، كما عرف أنَّ هذه الزَّعامة في طيِّء لم ينلْها أبوه بالوراثة والنَّسب، وإنَّما تبوَّأَهَا بالسَّجايا الحميدة والأخلاق الكريمة، فعليه إذاً أن يُعِدَّ نفسَه لتحمُّلِ المسؤولية عن جدارة واستحقاق، وليكن أبوه قدوةً له في الجود والعفَّة والفروسية، وما قصَّر عدي في ذلك، بل اعتنى به أشدَّ العناية، حتى أصبح حالُه مثلاً وشعراً تردِّده الألسنة بلا تكلّف ولا تصنُّع:

بأبهِ اقتدىٰ عديٌّ بالكرم ... ومَنْ يُشَابِهْ أبَهُ فما ظَلَم

وحفظ من أبيه وصايا خاصّة؛ فعمل بها، وتركها كلماتٍ مشرقةً مسطورة في صفحات التاريخ، بعد أن خضعت لأحكام الإسلام واهتدت بهُداه؛ ففي مجمع الأمثال؛ قال حاتم لابنه:

«إذ رأيت الشرَّ يتركك فاتركه»(١).

وفي السيرة النبوية لابن كثير: عن عديٍّ بن حاتم قال: «شهدتُ حاتماً يكيدُ(٢) بنفْسه، فقال لي: أيْ بُنَيّ، إنِّي

---

(١) مجمع الأمثال؛ لأبي هلال العسكري ١/١٨١.

(٢) يكيد بنفسه: يجود بنفسه.

أعهد من نفسي ثلاثَ خصالٍ: والله ما خاتَلْتُ جارةً لريبةٍ قطّ، ولا أؤتمنتُ على أمـانةٍ إلاَّ أدَّيْتُها، ولا أُتيَ أحـدٌ من قِبَلي بسوء»[1].

وما كان «عديٌّ» يدري بعد هذا كله أنه تنتظره في مستقبل حياته مهماتٌ جسام، تتجاوز حدود طيٍّء، وتترك آثاراً وفتوحاً فيما وراء جزيرة العرب، وما كان يعلم أنَّ أخلاقه الكـريمة ومعـدنه الأصيـل، ستجد في مبـادىء الإسلام وواقـع الحياة الإسلامية تربة صالحة؛ فتنمو وتزهر وتثمر، ويصبح عديّ في طليعة المسلمين ومن خيارهم؛ مسلمـاً تقيّاً، وكـريماً نبيـلاً، وسيداً مطاعاً، وجندياً مخلصاً في جهاد أعداء الله..

---

(١) السيرة النبوية؛ لابن كثير ١/١١٤.

الفصل الثاني

الهُـــرُوبُ

حديث النفس:

كان من عادة عديّ إذا بَدَا[1] أن يستيقظ من نومه مبكِّراً، يسبق الشمس قبل أن تطل بقرصها الأبيض الوهّاج فتملأ البادية بنورها الساطع، معلنة بدء يوم جديد. وكان دأبه في كلٍّ يوم أن ينظر إلى شقّ الخيمة المتجهة نحو الشرق، فما إن يرى النور قد أسفر حتى يترك مضجعه ويخرج بخفّة ونشاط، ويقف أمام خيمته الفخمة العالية، يستمتع بالهواء الناعم الطريّ ينحدر على جبهته ووجهه، وينظر في الأفق البعيد، فيرى الأرض والسماء قد تعانقتا في لقاء ودِّي بديع يسبق تقدّم نهار مشرق منتصر ومضي ليل خافت مهزوم، ويصيخ بسمعه إلى أصوات الديكة وزقزقة العصافير وهي تملأ الجو صياحاً وتغريداً، وكأنها تنشط في إيقاظ النائمين الغافلين عن شهود هذا المنظر الناطق الجميل، وكان رغاء الإبل وثغاء الأغنام يضفي على المنظر شعوراً بالنِّعم الوفيرة والخيرات الكثيرة في قبيلة طيِّء، ويذكر عديّاً بأسمار الضيوف على موائد الكرم في ماضي قبيلته

(١) بدا: خرج الى البادية ونزل فيها.

وحاضرها العتيد.

وكان يعجبه أن يرى الناس من رعيته ينتشرون مع الصباح فيما حولهم من سفوح واسعة ونجاد مرتفعة، بعضهم ينطلق في رحلة صيد، وبعضهم يغدو بأنعامه يطلب مواطن الكلأ ومواقع القطر، وإذا لمح بعضهم أميرهم الكريم في موقفه تركوا ما بأيديهم من مشاغل وأسرعوا يعرضون عليه خدماتهم.. ولكنَّه كان في كل مرّة يصرفهم عن ذلك مكتفياً بالابتسامة لهم والإشارة إليهم بأن يسرعوا إلى ما هم إليه غادون. حتى عبيده عرفوا منه ذلك، واعتادوا أن يروا سيدهم يقف في كل صباح هذه الوقفة التأمليّة، مفضِّلاً الوحدة، نافراً من كل كلامٍ أو خدمة تعكِّر عليه صفو أفكاره؛ وأدركوا أنَّها خلوة الأمير الشَّهم الذي يحمل على عاتقه بصدق آمال وآلام قومه جميعاً.

ولكنّه في هذا الصباح كان كئيباً حزيناً منشغلاً بحديث نفسه، فعيناه ساهمتان لا تكادان تستقرّان على رؤية شيء بعينه، وأذناه في شغل عنٍ سماع ما اعتاد سماعه، وأفكاره مضطربة صاخبة لا تتوقف به عند فكرة واضحة، لقد أمضى ليلة طويلة، بقي فيها أرقاً تنتابه أفكار سوداء، وينام لحظات متلاحقه فيها أحلام كئيبة بائسة.. كل هذا بسبب الدين الجديد الذي أصبح حديث الناس في الجزيرة كلِّها، وبخاصّة بعد هجرة محمد ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنوَّرة، وتقدّم مسيرة الاسلام الظافرة من نصر إلى نصر.. تلك هي مشكلة «عدي بنٍ حاتم» تبدأ في تفكيره كدائرة صغيرة ثم تكبر وتكبر حتى تحطِّم في

داخل نفسه كلَّ أمل، وتدمَّر من حوله كلَّ شيء.. ويتساءل متذمِّراً مراتٍ ومراتٍ:

ماذا يريد محمد بن عبد الله من الناس في جزيرة العرب؟ لماذا لا يبقيهم مع عاداتهم وتقاليدهم وزعاماتهم وآلهتهم؟! لقد سمع أنَّ الاسلام يقضي على الوثنيّة، ويلغي الولاء للقبيلة، ويجعل الولاء والطاعة لله وحده، ويزيل من حياة الناس التفاخر بالمال والجاه والنَّسب؛ ويصبح الجميع في دين الله إخوة متحابِّين... وسمع إلى جانب ذلك كلاماً كثيراً، ولكنَّه لم يغيِّر من رأيه الذي صاغه منذ عشرين عاماً في محمد عليه الصلاة والسلام ودعوته، وما زال يتأكد عنده وتتوضَّح صورته المفزعة يوماً بعد يوم، إنَّ ما يحدث في المدينة ومكّة وما حولهما لا يزيد عنده عن أطماع ملك أو زعيم يريد أن يقضي على كلِّ الممالك الصغيرة والزعامات القبليَّة في كل بلاد العرب.. وهذا يعني في حسابات عديٍّ الدقيقة ضياع ملكه في طيِّء، وفقدان ربع غنائم القبيلة يأخذه حقّاً خالصاً لقاء زعامته وقيادته لها.. ولذلك فإنّه يكره محمداً كراهة شديدة رغم أنَّه لم يلقَه ولم يعرفه.. وكانت كراهيته تزداد كلَّما سمع بانتصار جديد واتساع جديد لنفوذ رايات محمَّد وسراياه..

وعندما وصل إلى هذه النتيجة شعر بامتعاض شديد وألم يعتصر عقله وفؤاده، ولم يستطع التسرية عن نفسه إلاَّ بتذكر ذلك الأمر الخطير الذي عزم على القيام به إذا ضاقت عليه

السُّبُل، وحاق به الخطر المرتقب، وأبقى ذلك الأمر سرّاً فلم يُطْلع عليه أحداً، ولم يفض به إلَّا لراعي إبله الأمين...

* * *

إيذانه بوصول خيل رسول الله ﷺ:

ولنترك عديّ بن حاتم يحدّثنا عن سرِّه الخطير وما فعله عندما سمع بوصول جيش رسول الله ﷺ إلى بلاده فيقول:

«ما رجلٌ من العرب كان أشدَّ كراهية لرسول الله حين سمع به منّي؛ أمّا أنا فكنتُ أمرأً شريفاً، وكنت نصرانياً أسير في قومي بالمِرْباع[1]، فكنتُ في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي، لِمَا كان يُصنع بي، فلمَّا سمعتُ برسول الله كرهته، فقلت لغلامٍ كان لي عربيّ وكان راعياً لإبلي:

لا أبا لك! أعدد لي من إبلي أجمالاً ذُلُلاً[2] سِماناً مَسَانَّ، فاحبسها قريباً منِّي، فإذا سمعتَ بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنِّي.

ثم إنَّه أتاني ذات غداة، فقال:

يا عديّ، ما كنتَ صانعاً إذا غَشِيَتْكَ خيلُ محمدٍ فاصنعه الآن، فإنِّي قد رأيتُ راياتٍ، فسألتُ عنها، فقالوا: هذه جيوش محمّد.

---

(١) أسير بالمرباع: أي آخذ الربع من الغنائم؛ لأنّي سيّدهم.

(٢) ذللاً: جمع ذلول، وهو الجمل السَّهل الذي قد ريض.

قال: فقلتُ: قرِّبْ لي جمالي، فقربها فاحتملتُ بأهلي وولدي، ثم قلتُ: ألحقُ بأهـل ديني من النَّصارى بـالشام، فسلكتُ الحوشيّة، وخلَّفتُ ابنةَ حاتم في الحاضر، فلما قدمت الشام أقمت بها[1]».

أسرُ سَفَّانة:

وقبل أن نمضيَ مع عديّ بن حاتم في وصف هـروبه بنفسه وأهله إلى الجزيرة من أرض الشام بعد سماعه خبر خيل رسول الله ﷺ تطأ بلادَه؛ نتوقفُ لنجـدَ التفسير المـوضوعي المحايد لموقفين اثنين صدرا من عديٍّ وهو في غمرة سفر سريع طالباً السَّلامة والنجاة.

أما الأوّل فهو نسيانه لأخته سفّانة عرضة للأسر والسبي، وقد اعترفَ عديٌّ بخطئه في هذا الأمر، ودافع عن نفسه معتذراً بأنَّ الخبر المفاجىء عن وصول سرايا الرسول إلى مواطن قبيلته أعجلَه عن تفقُّدِ أهله واستقصاء وجودهم فرداً فرداً، ولكنَّه عندما اجتاز مواضعَ الخطر وتنبَّه لهذا الأمر عرفَ أنّه ترك أختاً له في نجد، ولم يكن له سبيلٌ لاستدراك هذا التقصير؛ فتابعَ سفرَه مضطراً مسلِّماً أخته لمواجهة السبي.

واعتذارُ عديّ هذا مقبولٌ إلى حدٍّ ما، ويقعُ مثلُه عند

(١) تاريخ الطبري ٣/١١٢ ـ ١١٣ والسيرة النبوية لابن هشام ٢/٥٨٠.

ارتحال أمثالِه من القادة والزعماء، الذين تستحوذُ على تفكيرهم المسؤولياتُ العامَّة، ويكون تصريف أمورهم الخاصة إلى بعض أهليهم أو أتباعهم.

ويُضاف إلى كلِّ ما تقدَّم أنَّ سفَّانة كانت في حاضرةِ طيِّء، وعديٌّ بدأ سفره المفاجىء من البادية.

أما الموقفُ الثاني فهو تخلِّيه فجأة عن مسؤولياته كسيِّد مطاع ورئيس محترم، وتركه للقبيلة كلِّها عرضة للخطب الجسيم الداهم، والخطر العظيم المحدق.. ونستبعد للوهلة الأولى أن يكون ذلك قد حدث بدافع الأثرة والنزعة الفرديّة؛ لأنَّ معدنَ عديٍّ الأصيل، وأخلاق المروءة والشَّهامة والرجولة المتأصلة في نفسه ومسلكه تأبى عليه أن يقع ذلك منه.

كما نستبعد أن يكون هربه إلى الشَّام بقصد طلب النَّجدة من قيصر الروم؛ لأنَّه لم يثبت تاريخياً أنَّه فعل ذلك، ولأنَّ طلبَ النَّجدة يكون مجدياً قبل وقوع الخطر، لا بعد وقوعه فعلاً.

فالمعقول والحالة هذه أنَّ عديّاً وجد استحالة القتال والمقاومة لصدِّ سرايا النبي الزاحفة، وذلك لما لمسه من ضعف الرُّوح القتاليّة لدى أفراد قبيلته التي طحنتها، رحى الحروب الجاهليّة، ولما رآه من اختلاف في الرأي حيال الاسلام؛ هل يقبلونه؟ أم يرفضونه ويقاومونه؟ وقطع بعض الوجهاء من طيِّء هذا التردّد، ووفدوا على رسول الله ﷺ، وبعضهم أعتنق

الاسلام وعادوا ينشرونه ويدعون إليه بين أفراد القبيلة. ومن البديهي أنَّ عديّاً عرف استحالة فرار القبيلة كلِّها إلى الشَّام، وتخلِّيها عن مساكنها وأراضيها التي ارتبطوا بها مع الزمن، حتى أصبحوا قطعة منها. وليس بعيداً أن تكون هذه الأمور كلّها قد نوقشت مع وجوه القوم وأصحاب الرأي في القبيلة. فلم يبق أمام عديٍّ من حَلٍّ يلجأ إليه إلَّا أن ينجوَ بنفسه وأهله.. ولم يكن هذا العمل سُبَّةً في حقه، ولا عملاً شائناً في حكمه، ولذلك لم نجده يعتذر أو يدافع عن نفسه، ولم يؤاخذه عليه قومه بعد إسلامه وإسلامهم.. بل عاد بإجماعهم إلى مكان الإمارة والصَّدارة والسيادة كما كان..

ولنعد الآن ـ بعد تحصيل هذه القناعات المحتملة ـ إلى حديث عديّ المشوِّق، يروي لنا خبر أسرِ أخته سفّانة وأخذها مع السَّبايا إلى المدينة المنوّرة فيقول:

«وتخالفني خيلٌ لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت[1]، فقُدِم بها على رسول الله ﷺ في سبايا من طيٍّء، وقد بلغ رسولَ الله ﷺ هربي إلى الشَّام.

قال: فجُعِلَتْ ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تُحبس بها، فمرَّ بها رسول الله ﷺ فقامتْ إليه، وكانت

(١) في رواية الإمام أحمد في المسند ٤/٣٧٨ قول عدي بن حاتم «فأخذوا عمتي» والمشهور في كتب السِّيَر أنَّ المأخوذ أخته سفّانة.

امرأة جَزْلَة[1]، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغـابَ الوافد[2]، فامُننْ عليَّ مَنَّ الله عليك.

قال: ومن وافدك؟.

قالت: عديُّ بن حاتم.

قال: الفارُّ من الله ورسوله.

قالت: ثم مضى وتركني، حتى إذا كان الغد مرَّ بي فقلتُ له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس.

قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي وقد يئستُ، فأشار إليَّ رجلٌ خلفه ـ أنّ قومي فكلِّميه، قالت: فقمتُ إليه فقلتُ: يا رسولَ الله، هلكَ الوالدُ وغاب الـوافدُ، فـامنن عليَّ منَّ الله عليك.

فقال ﷺ: قد فعلتُ، فلا تَعْجلي بخروج حتى تجدي من قومِك من يكون لك ثقةً حتى يبلِّغك إلى بلادك. ثم آذنيني.

فسألتُ عن الرجل الذي أشار إليَّ أن كلِّميه، فقيل لي: علي بن أبي طالب.

---

(١) جزلة: عاقلة أصيلة الرأي.

(٢) الوافد: تريد به الزائر الذي كان يتردد عليها ويتعهدها بالصلة والمعونة، وفي عيون الأثر؛ لابن سيد الناس ٢/٢٣٩: «وغاب الوافد، بالواو، قال بعض الناس: لا معنى له إلا على وجه بعيد. قال: ووجدت الرقَّام ذكره في كتابه: الرافد، بالراء، وهو أشبه».

قالت: وأقمتُ حتى قدمَ ركبٌ من بَليّ أو قُضاعة، قالت: وإنَّما أريد أن آتي أخي بالشَّام. فجئتُ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهطٌ من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ.

قالتْ: فكساني وحملني وأعطاني نفقة فخرجت معهم حتى قدمتُ الشَّام.

وصول سفَّانة إلى الشام:

قال عديٌّ: فوالله إني لقاعدٌ في أهلي فنظرتُ إلى ظعينة تصوِّب إلى قومنا.

قال: فقلت: ابنة حاتِم؟ قال: فإذا هِيَ هي.

فلمّا وقفتْ عليَّ انسحَلَتْ[1] تقول: القاطع الظالمُ!! احتملتَ بأهلك وولدك، وتركت بقيّة والدك، عورتك؟! قال: قلت: أيْ أخيّة لا تقولي إلاَّ خيراً، فوالله ما لي من عذر، لقد صنعتُ ما ذكرتِ.

قال: ثم نزلت فأقامت عندي. فقلت لها ـ وكانت امرأة حازمةً ـ ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟.

قالت: أرى ـ والله ـ أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبيّاً فللسابق إليه فضلُه، وإن يكنْ مَلِكاً فلن تذِلَّ في عزِّ اليمن

---

(١) انسحلت: جرت بالكلام.

وأنتَ أنتَ.

قال: فقلتُ: والله إنَّ هذا الرأيُ[1]».

(١) انظر قصة هروب عدي بن حاتم في السيرة النبوية لابن هشـام ٢/ ٥٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ٤/١٢٣ ـ ١٣٢. وتاريخ الطبري ٣/١١٢ ـ ١١٥. وحياة الصحابة ١/١٠٤ ـ ١٠٥، وتهذيب تاريخ ابن عسـاكر ٣/٤٢٠ ـ ٤٢٩. وسيَر أعلام النبلاء ٣/١٠٩ ـ ١١١، والإصابة ٤/٢٢٨ ـ ٢٢٩. وأسد الغابة ٣/٣٩٢ ـ ٣٩٤. والاستيعاب ٢/ ٥٠٢ـ ٥٠٣.

الفصل الثالث

قدومه على النبيّ وإسلامه

قدوم عديّ إلى المدينة:

لم يطب المقام لعديّ في جوار الروم النَّصارى، بل كره مكانه هناك أكثر من كراهيته لظهور الاسلام في أرض العرب.

واستطاعت سفّانة[1] بحزمها وجزالة رأيها أن تحرِّك مكامن الخير والحق في نفس أخيها «عدي»، وأن تبدِّل أحاسيس الكره للرسول الكريم لديه إلى تطلّع وشوق لمرأى نور محيّاه.. وإنّ ذكرياتها عن المدّة التي قضتها في المدينة المنوّرة قرب مسجد رسول الله ﷺ كانت كافية لرسم صورة صادقة عن مكانة رسول الله بين أتباعه، ومحبة أصحابه له، وتسابقهم إلى طاعته.. وأمّا وصفها لأخلاقه العظيمة، وطيب معاملته وإحسانه للمسلمين جميعاً، وما شملها هي بالذات من فيض سَخَائه وعفوه وإكرامه؛ فقد أخذ بمجامع قلب «عدي» وتفكيره، وجعل كل نماذج الشخصيات الجاهليّة الفاضلة، تتضاءل أمام عينيه وتتلاشى،

(١) قيل: إنّ سفانة قد أسلمت، إلاَّ أنَّها كتمت إسلامها عن أخيها، ونصحته أن يأتي رسول الله ﷺ راغباً أو راهباً.

ويبقى الرسول القدوة المثل الشامخ في قيادته وهدايته وأخلاقه؛ فليس عجيباً بعد هذا كلِّه أن ينهيَ «عدي» من حياته كل صدٍّ أو تردد، وأن يعود أدراجه باتجاه الجزيرة العربية على هدى وبصيرة، وبخطى ثابتة يحركها عقلٌ حاضر، وعاطفةٌ جيَّاشة، وقلبٌ خافق يهوي إلى المدينة المنوَّرة لرؤ ية رسول الله ﷺ عن قرب، والتعرّف على دينه ودعوته من فمه الشريف، وقد دفعه الشوق والحب أن يأتي المدينة المنوّرة في شهر شعبان من السنة التاسعة للهجرة بلا عهد ولا عقد. ولنسمعه يحدثنا عن هذا القدوم الميمون:

«فقلت لها ـ لسفّانة ـ وكانت امرأة حازمة ـ: ماذا تَـرَيْنَ في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تَـذِلَّ في عز اليمن، وأنت أنت.

قال: فقلتُ: والله إنَّ هذا الرأي.

قال: فخرجتُ حتى أقْدَم على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلتُ عليه وهو في مسجده، فسلَّمت عليه.

فقال: مَنِ الرجل؟.

فقلت: عديُّ بن حاتم.

فقام رسول الله ﷺ، وانطلق بي إلى بيته، فوالله إنَّه لعامدٌ بي إذ لقيتْهُ امرأةٌ ضعيفة كبيرةٌ فاستوقفتْه، فوقف لها طويلاً تكلِّمه في حاجتِها.

قال: قلت في نفسي؛ والله ما هذا بملِك[1]!».

وروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، عن عديٍّ بن حاتم قال:

«لمَّا بلغني خروج رسول الله ﷺ كرهت خروجه كراهية شديدة، فخرجت حتى وقعتُ ناحية الروم - وفي رواية حتى قدِمتُ على قيصر - .

قال: فكرهت مكاني ذلك أشدّ من كراهتي لخروجه.

قال: قلت: واللّهِ لو أتيتُ هذا الرجل فإن كان كاذباً لم يضرّني، وإن كان صادقاً علمتُ.

قال: فقدمتُ فأتيته، فلمّا قدمتُ قال الناس: عديُّ بن حاتم[2]!».

ضيف رسول الله ﷺ:

«قال عديّ: ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بيته، تناول وسادة من أدَمٍ محشوّة ليفاً، فقذفها إليّ فقال: اجلس على هذه.

قال: قلت: أنت فاجلس عليها.

قال: بل أنت.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٥٨٠، والسيرة النبوية لابن كثير ٤/ ١٢٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/ ٢٥٧.

فجلستُ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض.
قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك[١]».

ولم يكن هذا المشهد الرائع من ضيافة «عدي» في بيت رسول الله ﷺ غريباً ولا عابراً في حياته؛ بل بقي رسول الله ﷺ يكرمه ويحترمه كلَّما دخل عليه. يقول عدي: «ما دخلت على النبيِّ ﷺ قطُّ إلَّا توسَّعَ لي أو تحركَ لي، فدخلتُ عليه ذاتَ يوم وهو في بيت مملوءٍ من أصحابه، فلمَّا رآني توسَّعَ لي حتى جلستُ إلى جانبه[١]».

وتحوَّل هذا المشهد إلى أحرف خالدة من نور، كتبها كل من عَـرَّف بعديٍّ أو ترجمَ له فقال: قدم «عدي» على رسول الله ﷺ فأكرمه واحترمه. وتعلَّم المسلمون من فعل رسول الله إكرام الضيف، بعد أن حفظوا منه قوله الكريم: «إذَا أَتَاكُمْ كريمُ قومٍ فأكرِمُوه[٢]».

دعوة الرسول عديَّ بن حاتِم للاسلام:

وبعد أن استقر «عديٌ» جالساً أمام رسول الله ﷺ بكل أدب واحترام؛ مأخوذاً بأخلاقه النبويّة وأنواره الربانيّة، بـادره النبيُّ الداعيةُ قائلاً:

«إيه يا عديّ بن حاتم، ألم تكُ ركوسياً؟

(١) معرفة الصحابة؛ لأبي نعيم «مخطوط».
(٢) العبر؛ للذهبي ١/ ٧٤.

قال: قلتُ: بلى.
قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمِرْباع؟.
قال: قلت: بلى.
قال: فإنَّ ذلك لم يكن يَحِلُّ لك في دينك.
قال: قلت: أجل والله.
قال: وعرفتُ أنَّه نبيٌّ مرسَل يعلم ما يُجهل.

ثم قال: «لعلك يا عديّ إنّما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه. ولعلَّك إنَّما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوِّهم وقِلّة عَددهم، فوالله ليوشكنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسيّة على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلَّك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أنَّ الملك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم.

قال: فأسلمت[1].
قال: فكان عديٌّ يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونَنَّ.

وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتحت،

(١) كان إسلام عديٍّ في السنة التاسعة للهجرة، وقيل في العاشرة، وقد ذكر في بعض كتب التراجم أن إسلامة كان في السنة السابعة وهو بعيد جداً.

ورأيتُ المرأة تخرج من القادسيَّة على بعيرها لا تخافُ حتى تحجَّ هذا البيت، وايمُ الله لتكونَنَّ الثالثة، ليفيضنَّ المالُ حتى لا يُوجد من يأخذه[1]».

وروى الإمام أحمد بن حنبل في المسند، عن عدي بن حاتم قال:

«فدخلتُ على رسول الله ﷺ فقال لي: يا عـديّ بن حاتم، أسلمْ تَسْلمْ[2]. ثلاثاً.

قال: قلت: إني على دين.

قال: أنا أعلمُ بدينك منك.

فقلتُ: أنت أعلم بديني مني؟

قال: نعم. ألستَ من الرَّكوسية[3]، وأنتَ تأكلُ مِرْباعَ قومك؟!

قلت: بلى.

قال: فإنَّ هذا لا يحِلُّ لك في دينك.

قال: قلت: نعم، فلم يَعْدُ أن قالها فتواضعتُ لها.

قال: أمَا إنِّي أعلمُ الذي يمنعك من الاسلام؛ تقول: إنَّما اتبعه ضَعَفَةُ الناس ومن لا قوة لهم، وقد رَمَتْهم العرُب،

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٥٨١، والسيرة النبوية لابن كثير ٤/١٢٧.

(٢) أسلم تسلم: ادخل في دين الاسلام عن يقين واخلاص، تكن سالماً من الخلود في النار.

(٣) الركوسية: دين بين النصارى والصابئين.

أتعرفُ الحيرة؟.

قلتُ: لم أرها، وقد سمعتُ بها.

قال: فوالذي نفسي بيده ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، ولتفتحنَّ كنوز كسرى بن هرمز.

قال: قلتُ؛ كنوز كسرى ابن هُرمز؟!.

قال: نعم كسرى بن هُرمز، ولَيُبْذَلنّ المالُ حتى لا يقبله أحد.

قال عديٌّ بن حاتم: فهذه الظعينة تخرج من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى، والذي نفسي بيده لتكونَنَّ الثالثة؛ لأنه رسول الله ﷺ قد قالها(١)».

وروى الإمام البخاري في صحيحه، عن عديٍّ بن حاتم قال:

«بينا أنا عند النبيِّ ﷺ إذ أتاهُ رجلٌ فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخرُ فشكا إليه قطعَ السبيل، فقال: يا عديُّ، هل رأيتَ الحِيرة؟.

قلت: لم أرها، وقد أُنبئتُ عنها.

قال: فإنْ طالتْ بك حياةٌ لترينَّ الظَّعينة ترتحلُ من الحيرة

(١) مسند الإمام أحمد ٤/٢٥٧.

حتى تطوفَ بالكعبة لا تخافُ أحداً إلاَّ اللَّهَ.

ـ قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ[1] طيِّء الذين سَعَّروا البلاد[2]؟ ـ.

ولئن طالتْ بك حياةٌ لتُفتحنَّ كنوز كسرى.

قلت: كسرى بن هرمز؟.

قال: كسرى بن هُرْمز.

ولئن طالتْ بك حياةٌ لترَيَنَّ الرجلَ يُخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يَطْلبُ من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه! وليلقينَّ اللَّهَ أحدُكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمانٌ يُترجم لـه، فيقولنَّ: ألم أبعثْ إليك رسولاً فيُبلّغك؟ فيقول: بلى، فيقولُ: ألم أعطِكَ مالاً وأُفْضِلُ عليك؟ فيقول: بلى. فينظرُ عن يمينه فلا يرى إلا جهنَّم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنَّم.

قال عديٌّ؛ سمعت النبي ﷺ يقول: اتَّقوا النَّار ولو بشِق تمرة، فمن لم يجد شِقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبة».

قال عديٌّ: فرأيت الظَّعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخافُ إلاَّ الله، وكنتُ فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئنْ طالت بكم حياةٌ لترونَّ ما قال النبي أبو القاسم ﷺ

(١) فأين دعار طيء: الدعار جمع داعر، وهو الشاطر الخبيث المفسد، والمراد قطاع الطرق. وكان دعار طيء يقطعون الطريق على من مرّ عليهم بغير جواز؛ ولذلك تعجَّب عديّ كيف تمر المرأة عليهم وهي غير خائفة.

(٢) سعروا البلاد: أوقدوا نار الفتنة، أي ملؤوا الأرض شراً وفساداً.

يُخرج الرجل ملءَ كفِّهِ[1].

وروى الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، عن عديٍّ بن حاتم رضي الله عنه قال:

«فأتيتُ النبيَّ ﷺ فإذا عنده امرأة وصبيان - أو صبي -، فذكرَ قربهم منه، فعرفت أنَّه ليس مُلْك كسرى ولا قيصر.

فقال له: يا عديُّ بن حاتم، ما أفرَّك[2]؟ أفرَّك أن يقال لا إله إلاَّ الله. فهل من إله إلاَّ الله؟.

ما أفرَّك؟ أفرَّك أن يقال: الله أكبر؟ فهل شيء هو أكبر من الله عزَّوجل؟.

فأسلمتُ، فرأيت وجهه استبشر وقال: إنَّ المغضوب عليهم اليهود، وإنَّ الضالِّين النَّصارى.

قال: ثم سألوه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، فلكم أيُّها الناس، أن تَرْضَخوا[3] من الفَضْل، ارتضخ[4] امرؤ بصاع، ببعض صاع، بقبضةٍ، ببعض قبضة - قال شعبة (أحد رواة الحديث) وأكثر علمي أنَّه قال: بتمرة، بشقِّ تمرة - وإنَّ أحدكم لاقي الله فقائلٌ ما أقولُ: ألم أجعلك سميعاً بصيراً؟ ألم

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب (باب علامات النبوة في الاسلام) رقم (٣٥٩٥).

(٢) ما أفرَّك: ما حملك على الفرار.

(٣) ترضخوا: تعطوا - بالبناء للمعلوم - من فضل أموالكم.

(٤) ارتضخ: خبر معناه الأمر؛ أي ليعطِ كل منكم ما يستطيع.

أجعل لك مالاً وولداً؟ فماذا قدَّمْتَ، فينظر من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، فلا يجد شيئاً، فما يتَّقي النَّار إلَّا بوجهه، فاتَّقوا النَّارَ ولو بشِقِّ تمرة، فإن لم تجدوه فبكلمة ليِّنَة.. إنِّي لا أخشى عليكم الفاقَة لينصرَّنكم الله وليعطينكم ـ أو ليفتحن عليكم ـ حتى تسيرَ الظعينة بين الحيرة ويثرب، إنَّ اكثر ما تخاف السَّرَق على ظعينتها[1]».

دروسٌ وعِبَرٌ:

وبعد القراءة المتأنيّة لهذه الأخبار الثابتة والأحاديث الصحيحة عن دعوة الرسول ﷺ عديّ بن حاتم للاسلام؛ نستنتج الدروس والعبر التالية:

١ ـ حرص النبي ونجاحه في تبليغ الدعوة:

كان النبي ﷺ على يقين من الهدى الذي بعثه الله به، وما فيه من خير للبشرية؛ ولذلك كان حرصه شديداً على تبليغ دعوته للنَّاس منذ اليوم الأوّل لرسالته، واستمر على ذلك لا يعرف الكلل ولا الملل حتى لقي وجه ربه.

فرسول الله هنا في السنة التاسعة للهجرة قد جاوز الستين من عمره المبارك، ومع ذلك يدعو عديّاً بروح الشباب، بل بما

(١) رواه الإمام في مسنده ٣٧٨/٤ ـ ٣٧٩، والترمذي في كتاب التفسير (تفسير سورة الفاتحة).

يفوقهم في حماسهم ونشاطهم، وبعد أن هيأ الأسباب وزاد من فرص النجاح.. لقد صنع لعديّ معروفاً لا يُنسى، فأطلق أخته سفّانة من الأسر، وسرَّح معها تسعمائة من الأسرى[1]، وكان رسول الله ﷺ يعلم أنّه يصنع هذا الجميل مع كريم، يعرف المعروف ويقدّر أهله.. ثم ترك رسول الله له أملاً يستعين به على نفسه وشيطانه حين قال بعد أن بلغه هربه: «إني لأرجو أن يجعل الله يده في يدي[2]».

ويأتي الله بعديّ إلى المدينة المنوّرة، فيأخذ النبيُّ بيده ويدعوه إلى بيته ويظهر له ما يستحقه من احترام وإكرام.. ويجلس عديٌّ أمام رسول الله وهو يتحصن في داخل نفسه بما هو عليه من دين، ويظن أن ذلك قاربه القوي للنجاة والهروب ثانية من دعوة النبي، فيبدأ الرسول الكريم دعوته له أولاً بإزالة هذا الوهم من نفسه، وإفهامه أنَّ تدينه اسميٌ وشكليٌ ومظهر، ولو كان تديُّناً حقيقياً لما أكل ربع غنائم قومه.. وعندها يتأكد لعديّ أنَّ محدِّثه مؤيّد بوحي الله، يعلم ما يجهله الناس. ولا يتركه النبي في هذا الموقف نهباً للوساوس الشيطانية والأفكار السوداء، بل يأخذ بيده إلى شاطئ الطمأنينة والأمان، فيعلمه أنَّ المستقبل للاسلام، وأنَّ ما يراه في المسلمين من ضعف وفقر وعَوَز سيراه إن طالت به الحياة قوة

(١) الرياض المستطابة؛ للعامري ص ٢٢٢.
(٢) من حديث رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن (باب ٢) رقم /٢٩٥٣/.

وغنى وسؤدداً وفتوحاً. . . وتنقدح في قلب عديٍّ شرارة الإيمان، وتستنير بها نفسه، وتخفق لها جوانحه، ويتحرك لسانه بكلمات الشهادة، معلناً دخوله في دين الاسلام. . ويستبشر رسول الله بإسلامه، ويزيده يقيناً ورضىً، فيخبره: «أن المغضوب عليهم هم اليهود. . وأنَّ الضالين هم النَّصارى». أمّا المشركون العرب فيعلم عديٌّ من نفسه أنَّهم على باطل وضياع ظاهر. .

فما أبلَغه من درسٍ نبويٍّ وتربويٍّ خالد، يتعلَّمُ منه الدعاةُ المخلصون الثباتَ على الحق، والتخطيطَ السليم في رسم السُّبل الناجحة لهداية الحيارَى والتائهين، وإنارة نفوسهم المظلمة بنور الاسلام.

٢ ـ بساطة عيش رسول الله ﷺ:

عندما توضع دعوة الرسول ﷺ في الميزان من قبل أعدائها وأصدقائها، تبرز بساطة عيش رسول الله في بيته، وزهده في متاع الحياة الدنيا، وتخلِّيه عن أيِّ زعامة مصطنعة؛ أوضحَ دليل على صدقه وسمو أهدافه. . وقد بقي هذا حاله ﷺ إلى آخر أيام حياته، ومع أنَّ صدقات الجزيرة العربية كلها أصبحت ترد إلى المدينة وتوضع بين يديه في المسجد فيأمر بتوزيعها وإيصالها إلى مستحقيها، ويَعُفُّ عنها معلناً مبدأه

السمـاويّ: «إنَّ هـذه الصـدقـات لا تَحِـلُّ لمحمـدٍ ولا لآلِ محمد[1]».

وعديٌّ بن حاتم عندما دخل بيت رسول الله ولم يجد فيه متاعاً يمكن أن يجده في بيت زعيم أصغر قبيلة عربية، بل وجدَ وسادة من أدم حشوها ليف آثره النبي بالجلوس عليها، لم يقارن عديٌّ رسول الله ﷺ بمن يعرف من زعماء القبائل وملوكها وهو واحد منهم، وإنما قارن بما عليه كسرى وقيصر وهما يرفلان في أعطاف النِّعمة والقصور، ويعيشان في بحبوحة الترف والملذّات. . لقد كان بإمكان رسول الله ـ في رأيِ عديّ ـ أن يكون ـ لو أراد ـ مثلهما وأكثر، أمَا وإنَّه لم يفعل فإنَّه نبيٌّ مرسل لا مَلِكٌ يتنعَّم ويتنفّذ.

ولقد كان بيت رسول الله في بساطته هذه وسيلة تربويّة عملية لكبار الصحابة؛ كعمر الفاروق، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، وغيرهم، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نامَ رسولُ الله ﷺ على حصيرٍ فقامَ، وقد أثَّرَ في جنبه، قلنا: يا رسول الله، لو اتَّخذنا لك وِطَاءً، فقال: مالي وللدُّنيا؟ ما أنا في الدُّنيا إلَّا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ ثم راحَ وتركَها».

وروى البيهقيُّ عن أنس قال: «دخلتُ على رسول الله وهو على سرير مرمول بالشَّريط، وتحت رأسه وسادة من أدَم

(١) رواه مسلم.

حشوها ليف، ودخل عليه عمرُ وناسٌ من الصَّحابةِ، فانحرفَ رسولُ الله انحرافةً، فرأى عمرُ أثرَ الشريط في جنبه فبكى، فقال له: ما يبكيك يا عمر؟ قال: وما لي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا، وأنت على الحال الذي أرى!! فقال: يا عمر، أمَا ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ قال: بلى. قال: هو كذلك.

٣ ـ من أعلام النبوة:

أخبر النبيُّ ﷺ بالغيوب المستقبلة المطابقة لخبره، فكان ذلك من معجزاته التي أيّده الله بها، وفي قصّة إسلام عديٍّ أخبر النبي بفتح الحيرة، وامتلاك المسلمين لكنوز كسرى بن هرمز، وكثرة المال في أيديهم حتى لا يوجد من يأخذه، وانتصار الاسلام واستتباب الأمن والسلام في بلاد المسلمين.. وقد تحقَّقت اثنتان في حياة عدي ورآهما بعيني رأسه، بل شارك بنفسه في تحقيقهما.. وكان يحلف أنَّ الثالثة لا بدَّ أن تجيء..

وتحقق ما أخبر به النبيُّ ﷺ، ففاضت الأموال في عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، حتى جعل مناديه ينادي على من يأخذ أموال الزكاة من فقراء المسلمين فلا يجد أحداً!! روى ابن عبد الحكم في سيرة عمر بن عبد العزيز، عن يحيى بن سعيد قال: «بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية

فاقتضيتها، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً، ولم نجد من يأخذها مني، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناسَ، فاشتريتُ بها رقاباً فأعتقتهم، وولاؤهـم للمسلمين[1]».

وفي البداية والنهاية لابن كثير: «كان منادي عمر ينادي كل يوم: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغنى كلاً من هؤلاء[2]».

وهكذا صدق رسول الله ﷺ... وتحقّق ما أخبر به.
وبرَّ عدي رضي الله عنه بقَسَمه... ووقع ما أقسم عليه.

٤ ـ تواضع رسول الله ﷺ:

منذ أن دخل «عديٌّ» مسجد رسول الله ﷺ قادماً من الشام، وعيناه ترقب بيقظة وانتباه رسول الله في كلِّ ما يصدر عنه أو يبدر منه.. وفي الطريق إلى بيت النبي استرعى انتباهه تلك المرأةَ العجوز التي وقفت تسأل رسول الله في أمر، فوقف لها الرسول الكريم، وأحنى لهـا رأسه يسمـع قولهـا ويتفهم مسألتها. لقد تأكّد لعديٍّ بن حاتم أنَّ هذا التواضع في وقار ليس من أخلاق الملوك الذين تكبّروا وتجبّرو، حتى جعلوا من أنفسهم طواغيت؟ وأنصاف آلهة. وستزداد معرفة عديٍّ مع الأيام بأخلاق قائده وحبيبه رسول الله بعد دخوله في دين الاسلام،

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز؛ لابن عبد الحكم ص ٦٩.
(٢) البداية والنهاية؛ لابن كثير ٩/٢٣٩.

فيحفظ من كلامه ﷺ: «إنَّ الله أوحى إليَّ أنْ تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحد على أحد».

ويسمع من إخوانه الصحابة أمثلة عالية للتواضع شملت حياة النبيِّ في داخل بيته وخارجه، وتجلَّت واضحة في مواطن العظمة والنصر؛ فهذا رسول الله ﷺ يدخل مكة منتصراً على رأس عشرة آلاف مقاتل، وقد أحنَى ظهره الشريف حتى إنَّ عثنونه ليمسُّ قتب رَحْله تواضعاً لله عزوجل(١).

وربَّما أصغى عديٌّ باهتمام بالغ الى أنس بن مالك وهو يقول:

«إنْ كانت الأَمَةُ من إماءِ المدينة لتأخذُ بيدِ الرسولِ ﷺ فتنطلقُ بهِ حيث شاءَتْ(٢)». ولعله حفظ من محاورات الصَّحابة؛ أنَّ رسول الله ﷺ كان يعلفُ الناضحَ، ويعقلُ البعير، ويقمُّ البيت، ويحلبُ الشاة، ويخصفُ النعلَ، ويرقعُ الثوبَ، ويأكلُ مع خادمه، ويطحن عنه إذا أعيا، ويشتري الشيءَ من السوق، ولا يمنعه الحياءُ أن يعلِّقَه بيده أو يجعلَه في طرفِ ثوبه،

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤٠٥/٢ والسيرة النبوية لابن كثير ٥٥٥/٣.

(٢) رواه البخاري.

وانظر قصة قدوم عديّ بن حاتم الطائي في السيرة النبوية لابن هشام ٥٨٠/٢ - ٥٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ١٢٣/٤ - ١٣٢، وتاريخ الطبري ١١٢/٣ - ١١٥ وحياة الصحابة ١٠٤/١ - ١٠٥، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤٢٠/٣ - ٤٢٩، وسِيَر أعلام النبلاء ١٠٩/٣ - ١١١ والإصابة ٢٢٨/٤ - ٢٢٩. وأسد الغابة؛ لابن الأثير ٣٩٢/٣ - ٣٩٤ والاستيعاب ٥٠٢/٢ - ٥٠٣.

وينقلبُ إلى أهله، يُصافحُ الغنيَ والفقيرَ، والكبيرَ والصغير، ويسلِّمُ مبتدئاً على كل من استقبله من صغير وكبير، أو أسودَ أو أحمرَ، حرّاً أو عبداً من أهل الصلاة.

وكان هذا يزيدُ عديّاً يقيناً بأنَّ عظمة النبيِّ ﷺ تكمن في تواضعه، وأنَّ تواضعَه من أعظم الأدّلة على صدقه في دعوته.

الفصل الرابع

عامل على الصدقة

اهتمام رسول الله ﷺ بفريضة الزكاة:

لقد كان اهتمام رسول الله ﷺ بأداء المسلمين لفريضة الزكاة مكمِّلاً لاهتمامه بإقامتهم للصَّلاة، وذلك لاقتران هاتين العبادتين في كتاب الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿ فإنْ تَابُوا وأقَامُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزكاةَ فإخْوانكم في الدين ﴾ [التوبة: ١١] وكما كان النبيُّ يختار من القبيلة أحفظهم وأقرأهم لكتاب الله تعالى ليؤمَّ قومه في الصَّلاة، كان ينتقي السُّعَاة وعمَّال الصَّدقة من السادة والأمراء، وأصحاب الديانة والعلم والفضل، ثم يبعثهم ليتولَّوا جمع الزكاة من أهلها، ويوزِّعوها على مستحقيها.

وكان هؤلاء يتلقَّون دروساً نبويّة خاصّة قبل بدء مهمتهم، وكانت هذه الدروس تشمل: فقه الزكاة، وكيفية التعامل مع النّاس بالرفق والتيسير، مع عدم التهاون في حقِّ الله، والتحذير من الغُلول والخيانة. .

ويعتبر هذا العمل في الاسلام جهاداً في سبيل الله؛ وعملاً فاضلاً مبروراً؛ تتطلع إليه النُّفوس الكبيرة، ويتشوَّف له أصحاب رسول الله ﷺ؛ روى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي،

عن رافع بن خَدِيج رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العاملُ على الصَّدقةِ بالحقِّ كالغازي في سبيل الله حتى يرجع».

تعيين عديّ بن حاتم عاملاً على صدقة طيِّءٍ وأسد:

روى ابن إسحاق: عند عبد الله بن أبي بكر قال: كان رسول الله ﷺ قد بعث أمراءَه وعمّاله على الصدقات، على كل ما أوطأ الاسلام من البلدان:

فبعث المهاجر بن أبي أميّة بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العَنْسيّ وهو بها.

وبعث زيادَ بن لبيد أخا بني بَياضة الأنصاريّ إلى حضرموت على صدقتها.

وبعثَ عديَّ بن حاتم على الصدقة، صدقة طيِّء وأسد.

وبعثَ مالك بن نُويرة على صدقات بني حنظلة.

وفرَّق صدقة بني سعدٍ على رجلين منهم.

وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين.

وبعث عليَّ بن أبي طالب إلى نَجْران ليجمع صدقاتهم، ويقدمَ عليه بجزيتهم[1]».

وقال الطبري: كان خروج الأمراء والعمال على الصَّدقات

(١) السيرة النبوية؛ لابن هشام ٢/٣٤٢.

في سنة عشر للهجرة[1].

ولا شكَّ أنّ هذا التكليف من رسول الله ﷺ لعديّ كان شرفاً كبيراً له، ومصدرَ غبطة واعتزاز يملأ قلبه وجوانحه؛ لأنَّه يدلُّ على مكانته عند رسول الله، وجدارته لتحمُّل المسؤوليات الجسام. ولم يكتف النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام بتعيينه على صدقات طيٍّء، بل ضمَّ إليه صدقات أسَدٍ أيضاً. وستكشفُ الشهورُ والسنواتُ القليلة القادمة من عُمُرِ عديٍّ سرَّ هذا التعيين المبارك، وحكمة هذه الفِراسة النَبويّة المهتدية بنور الله، وذلك عندما يتكرر ظهورُ عديٍّ على مشارف المدينة المنوّرة مطّلاً على جبل أحدٍ من جهة الشمال، قادماً بصدقات قومه، أملاً مشرقاً، وفرجاً مفرحاً للمسلمين في أضيق الأوقات وأقسى الظروف..

وكان أول قدوم ميمون له؛ وصوله في نهاية السنة العاشر للهجرة قبل وفاة رسول الله ﷺ، يدفع أمامه صدقاتٍ عظيمة؛ بيَّضتْ وجه رسول الله[2]، وأدخلت السرور على قلبه؛ لما حقَّقته من كفاية وقوة وعدل في جماعة المسلمين.

قدوم «عديّ» بصدقات قومه في خلافة أبي بكر:

توهَّمَ كثيرٌ من الأعراب بعد وفاة رسول الله ﷺ أنّ الزكاة

(١) تاريخ الطبري ١٤٧/٣.

(٢) روى مسلم الحديث رقم /٢٥٢٣/ عن عديّ بن حاتم قال: أتيْتُ عمر بن الخطاب فقال لي: إنَّ أوَّلَ صَدَقَةٍ بَيَّضَتْ وجهَ رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه، صدقة طيىء، جئتَ بها الى رسول الله ﷺ.

لا تُدفع إلَّا إليه، ومنهم من احتج بقول الله تعالى: ﴿ **خذْ مِن أموالِهم صدقةً تطهِّرهم وتزكّيهم بها وصلِّ عليهم إنَّ صلاتكَ سَكَنٌ لهم** ﴾ [التوبة: ١٠٣] فامتنعوا عن أدائها إلى أبي بكر الصدِّيق، وقالوا: لا ندفعُ زكاتنا إلَّا لمن صلاته سكنٌ لنا. فعزم الصدِّيق بتوفيق من الله تعالى على قتالهم وحربهم ما داموا يفرِّقون بين الصَّلاة والزَّكاة.

وما أحرانا أن نتبيّنَ موقفَ «عديّ» وسطَ هذه الأوهام الضّالّة، والانتقاض الخطير لعُرَى الإيمان، ولركنٍ مهمٍّ من أركان الاسلام، وأن نتعرف على ما فعله بصدقاتِ قومه، والجزيرةُ قد اشتعلتْ بنار أهل الردَّة.

قال الشَّعْبي: «لمَّا كانت الردَّة قال القومُ لعديّ بن حاتم: أمسكْ ما في يديك؛ فإنَّك إن تفعل تسود الحليفتين[(١)]. فقال: ما كنتُ لأفعل حتى أرفعها إلى أبي بكر بن أبي قحافة، فجاء بها إلى أبي بكر فدفعها إليه[(٢)]».

وروى الواقديُّ، عن حصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، قال:

«لما صدرَ رسولُ الله ﷺ من الحجِّ سنة عشر قدم المدينة، فأقام حتى رأى هلالَ المحرَّم سنةَ إحدى عشرة، فبعث

(١) الحليفتان: قبيلة طيىء وقبيلة أسد.
(٢) كتاب تهذيب الكمال؛ للحافظ أبي الحجاج المزي (مخطوط) ٥/٤٦٢.

المصدِّقين في العرب، فبعث على أسد وطيِّء عديّ بن حاتم. قال: وكان عديٌّ بن حاتم أحزمَ رأياً، وأفضل في الاسلام رغبة ممّن كان فرّق الصدقة في قومه.

فقال لقومه: لا تعجلوا، فإنّه إن يقم لهذا الأمر قائم أجبتم ولم تُفرّقوا الصدقة، وإن كان الذي تظنُّون، فلعمري إنَّ أموالكم بأيديكم لا يغلبنَّكم عليها أحد، فسكَّتهم بذلك. وأمر ابنه أن يسرِّحَ نَعَم الصدقة، فإذا كان المساء روَّحها، وإنه جاء بها ليلةً عشيّاً فضربه، وقال: ألا عجلتَ بها، ثم أراحها الليلة الثانية فوق ذلك قليلاً، فجعل يضربه ويكلمونه فيه، فلمَّا كان اليوم الثالث قال: يا بني، إذا سرَّحتها فصِحْ في أدبارها وأمَّ بها المدينة، فإن لقيكَ لاقٍ من قومك أو من غيرهم فقل: أريد الكلأ، تعذَّر علينا وما حولنا. فلمّا جاء الوقتُ الذي كان يرح فيه لم يأتِ الغلامُ، فجعل أبوه يتوقّعه ويقول لأصحابه: العجب لحبس ابني! فيقول بعضهم: نخرج يا أبا طريف نتبعه. فيقول: لا والله. فلمَّا أصبح تهيّأ ليغدو، فقال قومه: نغدو معك. فقال: لا يغدونَّ معي منكم أحد، إنَّكم إذا رأيتموه حلتم بيني وبينه أنْ أضربه وقد عصى أمري كما ترون. أقول له: تروح الإبل لأسفار قليلة يأتي بها عتمةً، وليلة تغرّب بها. فخرج على بعير له سريعاً حتى لحق ابنه، ثم حدَّر النَّعَم إلى المدينة، فلمَّا كان ببطن قناة[1] لقيته خيلٌ لأبي بكر الصدِّيق عليها عبد الله بن

(١) قناة: وادٍ بالمدينة، ويقع بين أحد والمدينة، ويأتيها من الشرق، وأعلى مصادره من وجّ بالطائف.

مسعود، وقيل: محمد بن مسلمة ـ قال الواقدي: وهو أثبتُ عندنا ـ فلمَّا نظروا إليه ابتدروه فأخذوه وما كان معه، **فقالوا له: أين الفوارس الذين كانوا معك؟! فقال: ما معي أحد. فقالوا: بلى، لقد كان معك فوارس فلمَّا رأونا تغيّبوا. فقال ابن مسعود ـ أو محمد بن مسلمة ـ: خلُّوا عنه فما كذبَ وما كذبتم، أعوانُ الله كانوا معه ولم يرَهُمْ. وكانت أولَ صدقةٍ قدم بها على أبي بكر. قدم عليه بثلاثمائة بعير**[1]».

وقد عرف له الصحابة والمسلمون هذا الفضلَ، وحمدوه على هذا المكرمة؛ فهذا عثمان بن عفّان رضي الله عنه يذكر ذلك فيما رواه الواقديُّ عن نائلٍ مولى عثمان قال:

«جاء عديٌّ بن حاتم إلى باب عثمان وأنا عليه فمنعته، فلما خرج عثمانُ إلى الظهر، عرضَ له، فلما رآهُ عثمانُ رحَّب به وانبسطَ له.

فقال عديّ: انتهيتُ إلى بابك، وقد عمَّ إذنُك النّاسَ فحجبني هذا، فالتفت عثمانُ إليَّ فانتهرني وقال: لا تحجبْه، واجعلْهَ أولَّ مَنْ يدخل، فلعمري إنّا لنعرف حقَّه وفضلَه، ورأيَ الخليفتينِ فيه وفي قومه، فقد جاءنا بالصَّدقة يسوقُها والبلاد كأنها شعلُ النار من أهل الرِّدَّة، فحمده المسلمون على ما رأوا منه».

(١) كتاب تهذيب الكمال؛ للحافظ المزي (مخطوط) ٥/٤٦٢ ـ ٤٦٣.

ثباتُ «عديٍّ» على الاسلام ووقوفه في وجه قومه حتى لا يرتدوا:

لم يقتصر الخطر الجسيم الذي واجهه أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه في أول خلافته على امتناع بعض الأعراب عن دفع الزكاة، وإنَّما تعدَّى ذلك إلى ظهور المتنبِّئين، وارتداد كثير من العرب عن الاسلام. وقد واجه الصدِّيقُ رضي الله عنه هذه الرِّدَّةَ الحمقاء بعزيمةٍ صادقة لا تضعفُ، وإرادة قوية لا تلين؛ فعقدَ أحدَ عشر لواءً لقتالهم، وأعلنها حرباً عليهم حتى يثوبوا إلى رشدهم، ويعودَ الدينَ كلُّه لله.

وكان عديُّ بن حاتم رضي الله عنه ممَّن ثبت على الاسلام، وشارك في حروب الرِّدَّة، ووقف بعقله الكبير وإيمانه الراسخ في وجه قبيلته طيّء حتى لا ترتد؛ وتبين أنَّ «عديّاً» ليس بالسابح الماهر الذي يستطيع أن ينقذ نفسه فحسب؛ وإنما هو رُبّانٌ ماهرٌ يعرف كيف ينقذ قومَه من الغرق ويحفظهم من العواصف والأهواء، ويوصلهم إلى شاطىء الطمأنينة والسلامة والاسلام؛ وهذا ما نلمسه في هذه القطعة التاريخية النفيسة من حروب الرِّدّة ذكرها الطبري في تاريخه، فقال:

«لما أَرَزَتْ(٢) عبس وذُبيان ولِفُّها إلى البُزَاخَة،(٣) أرسلُ

(١) تاريخ الاسلام؛ للذهبي ٣/٤٧.

(٢) أرزت: انضمت واجتمعت.

(٣) البُزاخة: قال الأصمعي: ماء لطيىء: بأرض نجد، وقال أبو عمر الشيباني ماءٌ لبني أسد. معجم البلدان ١/٤٠٨.

طُلَيحة [١] إلى جديلة والغوث أن ينضموا إليه، فتعجَّل إليه أناسٌ من الحيَّيْن، وأمروا قومهم باللَّحاق بهم، فقدموا على طُليحة، وبعث أبو بكر عديّاً قبل توجيه خالد من ذي القصَّة[٢] إلى قومه، وقال: أدركْهم لا يُؤكلوا. فخرج إليهم ففتلهم في الذروة والغارب[٣]، وخرج خالد في أثره، وأمره أبو بكر أن يبدأ بطيّء على الأكناف[٤]، ثم يكون وجهه إلى البُزاخة، ثم يثلِّث بالبُطاح، ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدث إليه، ويأمره بذلك. وأظهر أبو بكر أنه خارج الى خَيْبر ومنصبٌ عليه منها حتى يلاقيه بالأكناف، أكناف سلْمى؛ فخرج خالدٌ فازوارّ عن البُزاخة، وجنحَ إلى أجأ، وأظهر أنَّه خارج إلى خيبر، ثم منصبٌّ عليهم، فقعَّد ذلك طيِّئاً وبطَّأهم عن طليحة، وقدم عليهم «عديٌّ، فدعاهم فقالوا: لا نبايع أبا الفصيل[٥] أبداً، فقال: لقد أتاكم قومٌ ليُبيحنَّ حريمكم، ولَتكنُّنَّه بالفحل الأكبر؛ فشأنكم به. فقالوا له: فاستقبل الجيش فنهنِهْه عنا حتى

---

(١) طليحة الأسدي: قدم على النبي ﷺ في وفد بني أسد سنة ٩ هـ وأسلم ثم ارتدّ وادّعى النبوة، وبعد أن هزمه خالد بن الوليد هرب الى الشام ثم رجع الى المدينة وحسن إسلامه، توفي سنة ٢١ هـ.

(٢) ذو القصة: موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، وهو عن طريق الربذة.

(٣) في الذروة والغارب: الذروة أعلى السنام والغارب مقدمه، أراد أنَّه ما زال يكلمهم ويتلطّف لهم حتى أجابوه.

(٤) الأكناف: موضع.

(٥) أبو الفصيل: يريدون به أبا بكر الصديق رضي الله عنه، لأن البكر هو الفتي من الإبل.

نستخرج من لحقَ بالبُزاخة مِنّا؛ فإنا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلَهم أو ارتهنهم. فاستقبل عديٌّ خالداً وهو بالسُّنْج، فقال: يا خالدُ، أمسِكْ عني ثلاثاً يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوّك، وذلك خيرٌ من أنْ تُعْجلَهم إلى النار؛ وتشاغل بهم؛ ففعل. فعاد عدي اليهم وقد ارسلوا الى اخوانهم فأتوهم من بزاخة كالمددِ لهم. ولولا ذلك لم يُتركوا؛ فعاد عديٌّ بإسلامهم إلى خالد، وارتحل خالد نحو الأُنْسُر[1] يريد جَديلة، فقال له عديٌّ: إنَّ طيّئاً كالطائر، وإنَّ جديلةَ أحد جناحيْ طيّء؛ فأجِّلْني أياماً لعلَّ الله أن ينتقذ جديلة كما انتقذ الغوْث، ففعل؛ فأتاهم عديّ فلم يزل بهم حتى بايعوه، فجاءه بإسلامهم، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب، فكان خير مولود وُلِدَ في أرض طيّء وأعظمه عليهم بركة[2]».

ولم يكن هذا الموقف رائعاً وعظيماً في حياة «عديّ» لأنه استنقذ قومه من براثن الرِّدَّة الكافرة فسحب، بل لأنَّه أسهم في تحقيق الخطوة الأولى الظافرة لحروب الرِّدَّة كلِّها، وقد ظهر فيها التنسيق القياديّ المخلص والمؤيد من الله تعالى بين أبي بكر وخالدٍ وعديّ رضي الله عنهم، وكانت فرصة ذهبية لسيف الله خالد بن الوليد يكتشفُ من خلالها أميراً من أمراء جيشه، ويعتمدُ عليه في الملمَّات بعد أن تيقَّن منه السَّداد في الرأي، والصَّلابة في دين الله، ومحبَّة قومه وطاعتهم له. وقد عرف

(١) الأنسُر: ماء لطيء دون الرمل قرب الجبلين.
(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٥٣ ـ ٢٥٤.

«عديٍّ» بدوره قائده المظفَّر خالد بن الوليد، وخبر بطولته وشجاعته في نصرة دين الله، وانضوى هو وقبيلته تحت لوائه في حروب الرِّدَّة، وحروب فتوح الشام والعراق؛ روى الطبري، عن عديّ بن حاتم قال: بعثتُ إلى خالد بن الوليد أن سِرْ إليَّ فأقم عندي أياماً حتى أبعث إلى قبائل طيّء، فأجمع لك منهم أكثر ممَّن معك، ثم أصحبك إلى عدوك. قال: فسارَ إليَّ[1].

وروى الطبري أيضاً عن سعد بن مجاهد؛ أنَّه سمع أشياخاً من قومه (طيِّء) يقولون: سألْنا خالداً أن نكفيه قَيْساً، فإنَّ بني أسد حلفاؤنا، فقال: والله ما قيسٌ بأوهن الشوْكتين، اصْمُدوا إلى أيّ القبيلتين أحببتم. فقال عديّ: **لو ترك هذا الدين أسرتي ـ الأدنى فالأدنى من قومي ـ لجاهدتُهم عليه، فأنا أمتنعُ من جهادِ بني أسدٍ لحلْفهم! لا لعمر الله لا أفعل!** فقال له خالد: إنَّ جهادَ الفريقين جميعاً جهادٌ، لا تخالفْ رأيَ أصحابك، امضِ إلى أحدِ الفريقين، وامضِ بهم إلى القومِ الذين هم لقتالهم أنشط[2].

فللّه درُّ عديٍّ بن حاتم في هذه المواقف البطوليّة التي تؤكد أنّه حقاً خير مولود ولد في أرض طيّء، وأعظمه على قومه والمسلمين جميعاً بركة وتثبيتاً. وكلَّما تقدمت به الشهور والسنوات، وازدادت مسؤولياته في نصرة ما خفق به قلبه من

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٢٥٤.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٢٥٥.

عقيدة وإيمان؛ تأكد في سمع الزمن ورسخ في تاريخ الأمة الاسلامية أن أبا طريف الطائيّ من خيار الناس في الجاهلية والاسلام.

الفصل الخامس

أمير طيّئ وفارسها في الفتوحات

من حروب الرِّدَّة إلى الفتوح:

لم تكد حروب الرِّدَّة تنتهي، ويعود الاسلام العظيم فينير بجميع مبادئه وأركانه جنبات الجزيرة العربية كلها، وتخضع القبائل لحكم الاسلام من جديد، وتذعن للخليفة بدفع الزكاة ـ حتى بادر الصدِّيق رضي الله عنه إلى توجيه ألويته المنتصرة لقتال الدولتين الكبيرتين: الفرس، والروم، ولا شكَّ أنَّ هذه الفتوحات التي دخل بها العرب المسلمون التاريخ من أوسع أبوابه كانت استكمالاً للرسائل التي بعث بها النبيُّ ﷺ إلى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام، ومتابعة لما بدأه الرسول الكريم في آخر حياته من غزو الروم في تبوك ومؤتة، ومن المعلوم أنَّ ردَّ كسرى على رسالة النبيِّ كان في منتهى التجبر والصَّلَف إذ مزق الرسالة وأهان حاملها، كما أنَّ ردَّ هرقل كان الإعراض والاستخفاف، فكان لا بدَّ من تحطيم الطواغيت والقيادات في كلا الامبراطوريتين ،وفتح الطريق أمام الناس للدخول في دين الله بحرية وأمان، والانعتاق من الذلِّ والعبوديّة لغير الله. وليس من المستبعد أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه

كان يخطط بعد تنفيذه لبعث أسامة بن زيد لمتابعة مهمة الدعوة إلى الله خارج حدود الجزيرة، ورفع راية الجهاد في سبيل الله، عندما فاجأته حركة المتنبِّئين والمرتدِّين، ولذلك رأيناه يواجه ردَّة العرب بعزيمة صادقة، وإرادة قويّة، وخطَّة عسكرية سريعة، لتثبيت الاسلام في الجزيرة، والتفرّغ بعدها للمهمّة الأكبر، وهي الخروج بالعرب من حياة العزلة والانطواء والخمول، إلى حياة الجهاد والهداية والتحرير لأيٍّ إنسان تائه ومستعبد في كل الأرض.

وكما كان حضور عديّ بن حاتم ظاهراً وبارزاً في حروب الرِّدَّة؛ فإن حضوره في الفتوحات الاسلامية مع قبيلته طيِّء كان ظاهراً وبارزاً أيضاً.

أميرٌ في جيش خالد المتجه إلى العراق:

في السنة الثانية عشرة للهجرة جاء أمر أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه لخالد بن الوليد وجيشه بالمسير إلى العراق، وكان عديٌّ بن حاتم وقومه من طيِّء فوارس هذا الجيش في زحفه المبارك الميمون؛ ففي تاريخ الطبري: «فرَّق خالد مَخْرَجه من اليمامة الى العراق جندَه ثلاث فِرَق، - ولم يحملْهم على طريق واحدة. فسرَّح المثنى قبلَه بيومين ودليلُه ظَفَر، وسرَّح عديّ بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عبَّاد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم، وخرج خالد ودليله

رافع؛ فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به وليصادموا به عدوهم[1]. . . ».

وفي الطريق إلى الحيرة شهد عديٌّ عدداً من المعارك والانتصارات التي أظهر فيها خالد بن الوليد عبقرية فذَّة وبطولة فائقة وقيادة حكيمة، وهناك عند قصور الحيرة رأى «عديٌّ» بعيني رأسه تحقّق المعجزة التي أخبر بها النبيُّ ﷺ؛ روى الطبري عن جميل الطائيّ، عن أبيه، قال: «لما أُعطيَ شُويل[2] كرامة بنت عبد المسيح قلت لعديّ بن حاتم: ألا تعجب من مسألة شُوَيل كرامة بنت عبد المسيح على ضَعْفه! قال: كان يَهْرَف بها دهرَه، قال: وذلك أنِّي لمَّا سمعت رسول الله ﷺ يذكر ما رُفع له من البلدان، فذكر الحيرة فيما رُفع، وكأنَّ شُرَف قصورها أضراس الكلاب، عرفت أن قد أُرِيهَا، وأنَّها ستفتح فلقَّنْته مسألتها[3]».

ومن حوادث السنة الثانية عشر للهجرة سجَّل لنا عدي هجوم جيش خالد على مُصَيَّخ بني البرشاء، وما رآه من مشهدٍ عجيب يدل على الفساد الخلقي الذي يعيشه المجتمع الشهوانيّ المهزوم؛ فقال: أغرنا على أهل المصيَّخ، وإذا رجل يُدعى

(١) الطبري ٣/٣٤٨.
(٢) في تاريخ الطبري ٣/٣٦٦ «لما قدم شُويل إلى خالد، قال: إنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يذكر فتحَ الحيرة، فسألته كرامةَ، فقال: «هي لك إذا فتحت عنوة» وشُهد له بذلك، وعلى ذلك صالحهم، فدفعها إليه. . . الخ.
(٣) المصدر السابق ٣/٣٦٥ - ٣٦٦.

باسمه حُرْقوص بن النعمان، من النَّمِر، وإذا حوله بنوه وامرأته، وبينهم جَفْنة من خَمْر، وهم عليها عكوفٌ يقولون له: ومن يشرب هذه الساعة، وفي أعجاز الليل! فقال: اشربوا شرب وَدَاع، فما أرى أن تشربوا خمراً بعدها، هذا خالد بالعين وجنوده بحُصَيد، وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا، ثم قال:

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظَّهْر
بُعَيْدَ انتفاخ القوم بالعكَرِ الدَّثْرِ
وقبلَ مَنايانا المصيبة بالقَدْرِ
لحينٍ لَعَمْري لا يزيدُ ولا يَحْري

فسُبق إليه وهو في ذلك في بعض الخيل، فضُرِب رأسه، فإذا هو في جفنته، وأخذنا بناتِه، وقتلنا بنيه[1]».

وفي السنة الثالثة عشرةِ للهجرة كتب الصدِّيق إلى خالد وهو بالعراق أن يخرج إلى الشَّام في شطر الناس لنجدة إخوانهم في اليرموك، وأن يترك النصف الآخر تحت قيادة المثنَّى بن حارثة، وأسرع خالد بكل ما أوتي من بطولة وعبقرية في تنفيذ الأمر، واجتاز بجنده بادية الشام في خمسة أيام، وقد حفظه الله وجنوده من الموت ظمأً في تلك الصحراء الشاسعة.. وكان عديٌّ بن حاتم في هذا الجيش الذي ظهر فجأة على ضفاف اليرموك خلف صفوف الروم، وكأنه مدد من الملائكة لا تعيقه المسافات ولا الحدود. ويثبتُ الذهبي هذه الحادثة في ترجمته

(١) الطبري ٣/٣٨٢.

لعديّ فيقول: «وكان أحد من قطع برية السَّماوة مع خالد بن الوليد الى الشام، وقد وجهه خالد بالأخماس إلى الصدِّيق[1]».

إلى العراق ثانية:

كان من وصيّة أبي بكر لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قبل وفاة الصدِّيق بيوم واحد: أن يندب النَّاس مع المثَّنى بن حارثة وقال له: «إنْ فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق فإنَّهم أهله وولاة أمره وحَدُّه، وأهل الضَّراوة منهم والجراءة عليهم[2]».

وفي تاريخ الطبري أنَّ «اوّل ما عمل به عمر أن ندب النّاس مع المثَّنى بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس[3]..»

وكان عديٌّ بن حاتم وقومه من طيء ممَّن خرج مع المثَّنى، وأمير الجيش أبو عبيد بن مسعود الثقفي رحمه الله تعالى، فشهد عديٌّ معركة الجسر التي ابتلي فيها المسلمون وسقط منهم أربعة آلاف شهيد، ثم تتابعت المشاهد والفتوح على يد المثَّنى بن حارثة؛ وتُوِّجت بانتصارات القادسيّة والمدائن بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وعديٌّ هو عديٌّ في هذه المعارك الفاصلة والحاسمة في تاريخ العالم، حيث

---

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٣/١١٠.
(٢) الطبري ٣/٤١٤.
(٣) المصدر السابق ٣/٤١٤.

انفتحت على آثارها أبواب العراق وفارس كلِّها للمسلمين؛ ففي تاريخ الطبري أنَّ عديّاً كان في جيش المثنَّى ومعه ألف فارس من طيٍّء قد لحقوا بسعد في القادسية وكانوا مدداً له[1].

وشهد عديٌّ فتح جلولاء الوقيعة في ذي العقدة سنة ست عشرة، وذلك بعد فتح المدائن بتسعة أشهر، وقتل الله يومئذ من الفرس مائة ألف، وغنم المسلمون أموالاً عظيمة.. وفي نهاية السنة السابعة عشرة اختطَّ سعد الكوفة، وكان عديٌّ ممَّن سكنها وارتبطت مشاهده بفتوحها وأحداثها، وكانت معركة نهاوند في السنة التاسعة عشرة، ـ وقيل في السنة الحادية والعشرين ـ أعظمَ الفتوح في تاريخ الكوفة المجاهدةِ وهي مسك الختام في الفتوحات الاسلامية التي شهدها عديٌّ أميراً بلا منازع على فرسان قومه طيء ورجالتهم.

(١) الطبري ٣/٤٨٦.

الفصل السادس
موقفه من الفتنة

الفتنة الكبرى:

في سنة ٣٥ هجرية وقعت في عالم الاسلام والمسلمين فتنة دهماء، ومؤامرة دهياء، صنعت خيوطها بدقّة أصابع يهوديّة حاقدة، وتمثّل ذلك فيما دبَّر عبد الله بن سبأ اليهودي المتظاهر بالاسلام؛ فإنّه مشى بين الأمصار الاسلامية: الفسطاط والكوفة والبصرة، ينفث سمومه بالتحريض والتآمر على أمير المؤمنين الخليفة الراشد عثمان بن عفّان. واستطاع هذا الخبيث الماكر أن يوقع في حبائله من المسلمين رؤساء خادعين من أصحاب المطامع والغايات، وغوغاء من الناس أتباعاً ومخدوعين.

ولم تقتصر فتنتهم وثورتهم الظالمة على شقِّ عصا الطاعة للخليفة الثالث الراشد، وسفك دمه الطّاهر، وإنّما أصابت الصَّفَّ الإسلامي الواحد بشرْخ كبير، وانقسامات واختلافات خطيرة ما زلنا نتحمَّل أوزارها وعواقبها الوخيمة إلى اليوم، ولم يُرِدْ لها مدبِّروها أن تقتصر على الحياة السياسية وأن تنتهي باستشهاد عثمان بن عفّان رضي الله عنه، بل أرادوا لها أن تلد شقاقاً ونزاعاً يشمل الحياة الدينية والفكرية والوجدانية..

وظهرت النتائج المبكرة في انقطاع استمرارية الفتوحات الاسلامية، وتحوَّلت السيوف والرماح إلى صدور أهل القبلة، وأصبح بأسّ المسلمين بينهم.

وانعقدت البَيْعة في هذه السنة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد مقتل عثمان، وبايعه أكثر الصحابة. وعندما قام بعض المسلمين يطالبون بالثأر لعثمان وقتل قتلته، ووقع الخلاف بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهم؛ دعا عليٌّ الصحابة ليقفوا معه في حربه لأهل البغي، فاجتهدوا في ذلك؛ فبعضهم انضوى تحت لوائه، وقاتل معه لأنَّه صاحب حقٍّ، وتلزمهم طاعته، والبعض الآخر توقف وتَورَّع عن رفع سيفه في وجه مسلم، فاعتزلوا الفتنة وآثروا الحياد.

ونتساءل عن موقف عديٍّ وقومه أمام هذا الخيار الصعب، الذي وجد المسلمون أنفسهم أمامه، فنجدهم قد اختاروا الموقف الإيجابي، فأعلنوا أنَّهم مع عليٍّ منذ اليوم الأول من خلافته، وهم طوع بنانه، وحرب على خصومه إلى آخر يوم من حياته.

سرُّ العلاقة الحميمة بين عليٍّ وقبيلة طيء:

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أميرَ غزوة طيٍّء بتكليفٍ من النبيِّ ﷺ، فأغار على القوم وهدم صنمهم، وجاء منهم بأسرى وسبي عظيم إلى المدينة المنوَّرة، وكان في السبي

سفّانة بنت حاتم الطائي، كما مر هذا معنا مفصَّلاً من قبل..
ومن الطبيعي أنّ هذا الغزو لو تمَّ في الجاهلية لترك ثارات وأحقاداً لا تموت الَّا بعد أن تفنَى أجيالٌ وأجيال. ولكن هذا الأمر - وقد جرى في الاسلام - لم يترك أيَّ ضغينة أو دَخَل، بل أوجد علاقة حب وتقدير بين علي بن أبي طالب وبين قبيلة طيِّء وعلى رأسها عديٍّ بن حاتم.. ونسأل عن سرٍّ ذلك فيأتينا الجواب وجوهاً واحتمالات:

● منها ما أعلنه النبيُّ عليه الصلاة والسلام حكماً ربانياً يسري على الجميع ويلتزم به الجميع، وهو أنَّ الاسلام يَجُبُّ ما قبله، ويفتح صفحة جديدة، بيضاء نقيّة إلَّا من أخوّة الدين والعقيدة بدايةً ومبدأً (إنما المؤمنون إخوة).

● ومنها أنّ علياً رضي الله عنه صاحبُ فضل كبير على طيِّء، فقد هدم طاغيتهم «الفَلْس»، وأزاح الله بفعله عن عيونهم وقلوبهم غشاوات الكفر والضَّلال، وكان مولى نعتهم في الدخول في الاسلام، وما زال حبُّهم لعليٍّ يزيد مع حبِّهم للدِّين الجديد وتمسُّكهم به.. أضف إلى ذلك أنَّ علياً كان حكيماً وحصيفاً أثناء غزوهم، فلم يكن همُّه القتل والسلب والنَّهب على عادة الجاهليِّين، بل كانت غايته الدَّعوة إلى الله والهداية إلى الاسلام من أقصر السُّبل. وفي مغازي الواقدي ما يدل بوضوح على ذلك، وهو أنَّ عليّاً رضي الله عنه أمر جنوده - وكلُّهم من الأنصار - أن يبيِّتوا القوم وأن يغيروا عليهم في

عماية الصبح قبل أن يأخذوا حذرهم واستعدادهم للهرب أو ركوب الخيل للطّعن والنّزال، وبعد أن تمَّ أسرهم جميعاً عرض عليهم الاسلام، فمن أجابه أطلق سبيله، ومن أبى ضرب عنقه، وقد عزل آل حاتم الطّائي حتى أتى بهم المدينة(١).

● ومنها موقف عليٍّ النبيل من سفّانة وقومها بعد وصولهم إلى المدينة، حيث أشار عليها ـ دون أن تعرفه ـ أن تكلم رسول الله ﷺ؛ فمنَّ النبي عليها وأطلق معها تسعمائة أسير من قومها، ورجعت إلى أخيها معزّزة مكرّمة.. فاستحق عليٌّ من عديّ وقومه أن يقابلوا موقفه هذا بكل امتنان وتقدير ووفاء.

قوله عند مقتل عثمان:

حضر عديٌّ يوم الدّار يوم قتل عثمان، فلمَّا خرج الناس يقولون: قُتل عثمان، قتل عثمان. قال عديٌّ: لا تَحْبِقُ في قتله عناق حوليّة، فلمّا كان يوم الجمل فقئت عينه، وقتل ابنه محمد مع عليٍّ رضي الله عنه، وقتل ابنه الآخر مع الخوارج، فقيل له يا أباطريف، هل حَبِقَتْ في قتل عثمان عناقٌ حوليّة، فقال: بلى وربِّك، التَّيْس الأعظم قد حبق فيه(٢).

إنّ هذا الكلام من عديّ ربما يكون الدافع إليه تهوين الأمر اعتماداً على ما اتَّصف به عثمان رضي الله عنه من رحمة

(١) مغازي الواقدي ٣/٩٨٧ ـ ٩٨٩.

(٢) تهذيب الكمال، للمزي (مخطوط) ومجمع الأمثال للميداني ٢/٢٢٥.

ولين وسماحة، جعلته يرفض القتال والدفاع عن نفسه ويستسلم للأقدار؛ ولم يكن يظنُّ أنَّ الجرأة تبلغ بهؤلاء الثوار أن يتكالبوا على دم صهر رسول الله ﷺ وأول مهاجر إلى ارض الحبشة في سبيل الله.

وربّما كان عديّ يقارن ما وقع بما حدث بعد استشهاد عمر الفاروق رضي الله عنه؛ فإنّ الأمر انتهى يومها بقتل أبي لؤلؤة المجوسيّ، وما كان عدي ولا غيره قادراً على تصوّر فداحة النَّكبة عندما يُقتل عثمان بأيدٍ مسلمة لها حَوْل وقوة وأغراض دنيئة، وتقف وراءها عقول مدبِّرة مجرمة تهدف إلى الجناية على الاسلام نفسه. وليس بعيداً أن يكون عديٌّ قد تفوَّه بهذا الكلام متأثراً بما يشيِّعه ويروِّجه أعداء الله وأعداء الخليفة عثمان في الكوفة، وأدرك فيما بعد أنَّه أساء للشهيد المظلوم وأنَّ ما جرى له في معركة الجمل كان تأديباً له وتعجيلاً لما يستحقه من جزاء.. ولذلك رأيناه في زمن المختار بن أبي عبيد يخرج من الكوفة حتى لا يسمع فيها بأذنيه شتم عثمان[١]..

وفي مجمع الأمثال للميداني: «لا تحبق في هذا الأمر عناق حولية»

يُضرب المثل في أمر لا يعبأ به، ولا غِيَرَ له، أي لا يدرك فيه ثأر[٢].

---

(١) تاريخ الاسلام للذهبي ٤٨/٣.

(٢) مجمع الأمثال؛ للميداني ٢٢٥/٢.

من أمراء جيش عليٍّ في حروبه:

شهد عديٌّ بن حاتم الطَّائي رضي الله عنه مع عليٍّ بن أبي طالب حروبه: يوم الجمل، وصفّين، والنَّهروان. وكان أمير طيِّء فيها[1].

ففي تاريخ الطبري، أنَّ علياً رضي الله عنه أرسل ابنه الحسن إلى الكوفة لدعوة أهلها لنصرته.. فأتى قوم من طيِّء عديّاً فقالوا: ماذا ترى؟ وماذا تأمر؟ فقال: ننتظر ما يصنع الناس، فأخبربقيام الحسن وكلام من تكلَّم، فقال: قد بايعنا هذا الرجل وقد دعانا إلى جميل، وإلى هذا الحدث العظيم لننظر فيه، ونحن سائرون وناظرون[2]. ولدى وصوله بقومه وانضمامه إلى جيش عليٍّ عُيِّن أميراً على خيل طيِّء وقضاعة، ووقعت معركة الجمل بين فئتين عظيمتين من المسلمين بتدبير من أهل الفتن والأهواء، فسعروا الحرب عندما عوّل الجميع على الصلح؛ وكانت نتيجتها محزنة وكئيبة لعديّ ولجميع المسلمين غالبين ومغلوبين، ففي «تهذيب الكمال» لأبي الحجَّاج المِزِّي: «نظر عليٌّ بن أبي طالب إلى عديٍّ - يعني يوم الجمل - كئيباً حزيناً، فقال: مالي أراك حزيناً كئيباً. فقال وما يمنعني يا أمير المؤمنين وقد قتل ابني وفقئت عيني. فقال: يا عديُّ بن حاتم، إنَّه من رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له

---

(١) المعارف ص ٣٠٣ وتهذيب الكمال، للمزي (مخطوط).

(٢) تاريخ الطبري ٤/٨٥.

أجر، ومن لم يرضَ بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله[1]».

وحاول عائذ بن قيس الحزمريّ الطائي أن يزاحم عديّاً على راية طيٍّء، ورئاستها في صِفيِّن فلم يفلح؛ ففي الطبري: «أنّ عائذ بن قيس الحزمريّ واثبَ عديّ بن حاتم في الراية بصِفِّين - وكانت حِزْمر أكثر من بني عديٍّ رَهْطِ حاتم - فوثب عليهم عبد الله بن خليفة الطائي البَوْلاني عند عليّ، فقال: يا بني حِزْمر، على عديٍّ تتوثبون!! وهل فيكم مثل عديّ أو في آبائكم مثل أبي عديّ!! أليس بحامي القربة، ومانع الماء يوم روِيّة؟ أليس بابن ذي المرباع، وابن جواد العرب؟! أليس بابن المُنْهِب ماله، ومانع جاره؟ أليس من لم يغدر ولم يفجر؟ ولم يجهل ولم يبخل، ولم يمنن ولم يجبُن؟! **هاتوا في آبائكم مثل أبيه، أو هاتوا فيكم مثله، أو ليس أفضلكم في الاسلام!! أليس وافدَكم إلى رسول الله ﷺ!! أليس برأسكم يوم النُّخيلة ويوم القادسية ويوم المدائن ويوم جلولاء الوقيعة، ويوم نهاوند، ويوم تُستر؟! فمالكم وله؟! والله ما من قومكم أحدٌ يطلب مثل الذي تطلبون.**

فقال له علي بن أبي طالب: حسبُك يا بن خليفة، هلّم أيُّها القوم إليّ وعليّ بجماعة طيِّء، فأتوْه جميعاً، فقال عليّ: من كان رأسكم في هذه المواطن؟ قالت له طيِّء: عديّ. فقال له ابن خليفة: فسلْهم يا أمير المؤمنين، أليسو راضين مسلِّمين

(١) تهذيب الكمال؛ للمزي (مخطوط).

لعديّ الرياسة؟ ففعل، فقالوا: نعم، فقال لهم: عديٌّ أحقكم بالراية. فسلِّموها له، فقال عليٌّ ـ وضجت بنو الحِزمِر ـ: إنِّي أراه رأسَكم قبل اليوم، ولا أرى قومه كلّهم إلاَّ مسلمينَ له غيرَكم، فأتبّع في ذلك الكثرة. فأخذها عدي[1]..»

رسول عليٍّ إلى معاوية:

قال الطبري: «ثم دخلت سنة سبع وثلاثين، فكان في أول شهر منها ـ وهو المحرم ـ موادَعة الحرب بين عليٍّ ومعاوية، قد توادعا على ترك الحرب فيه إلى انقضائه طمعاً في الصلح، فذكر هشام بن محمد، عن أبي مِخْنَف الأزديّ، قال: حدثني سعد أبو المجاهد الطائيّ، عن المُحِلّ بن خليفة الطائيّ، قال: لما توادَع عليّ ومعاوية يوم صِفّين، اختلف فيما بينهما الرسل رجاءَ الصلح، فبعث علي عديّ بن حاتم ويزيدَ بن قيس الأرحبي وشبث بن رِبْعيّ، وزياد بن خَصَفة إلى معاوية، فلما دخلوا حَمِدَ الله عديّ ابن حاتم، ثم قال: أمّا بعد، فإنّا أتيناك ندعوك إلى أمر يجمع الله عز وجلّ به كلمتنا وأمتنا، ويحقن به الدماء، ويؤمِّن به السّبل، ويصلح به ذاتَ البين. إنّ ابن عمك سيّد المسلمين، أفضلها سابقة، وأحسنها في الاسلام أثراً، وقد

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٩.

استجمع له الناس، وقد أرشدهم الله عز وجل بالذي رأوْا، فلم يبق أحدٌ غيرك وغير مَن مَعَك، فانته يا معاوية لا يصبْك الله وأصحابك بيوم مثل يو الجمل.

فقال معاوية: كأنَّك إنَّما جئت متهدِّداً لم تأت مصلحاً! هيهات يا عديّ، كلاَّ ـ والله ـ إنِّي لابنُ حرب، ما يُقعقَع لي بالشِّنان، أما والله إنَّك لمن المجلبين على ابن عفّان رضي الله عنه، وإنَّك لمن قَتَلته، وإنيِّ لأرجـو أن تكون ممن يَقتل الله عزَّ وجلّ به. هيهات يا عديُّ بن حاتم! قد حلبتَ بالساعد الأشدّ[1]».

وهذا الخبر الذي ذكره الطبري خطير جداً؛ لما ورد فيه من اتِّهام صريح لعديّ بن حاتم بأنـه من قتلة عثمان، ومن المجلِبين عليه. وهذا لم يقل به أحد، ممّا يدعونا إلى فتح عيوننا وعقولنا لنقد الخبر وتمحيصه من جهة السَّند والمتن. ويبدأ الشك الكبير من ورود القصة عن هشام بن محمد بن السائب الكلبيّ. وهو رافضيٌّ، كذّابٌ، متروك الحديث[2]، وأبو مِخْنَف الأزديّ ـ لوط بن يحيى ـ أخباريٌّ تالف، وشيعي محترق، متروك الحديث[3]، ثم يزداد شكُّنا حتى يصبح يقيناً عندما نعلم من روايـات الثِّقات أنَّ الصحـابة الكـرام لم يـكن لهم أيُّ مشاركة فيما وقع لعثمان، ولم يشترك أحد منهم في قتله أو

(١) الطبري ٥/٥.
(٢) لسان الميزان، للذهبي ٦/١٩٦.
(٣) المصدر السابق ٤/٤٩٢.

التسبّب فيه[1]، ولم يصدر عن واحد منهم حتى مجرّد الرضى والقبول بما حدث.

وقد وقعت معركة الجمل، وحدثت بعدها معركة صِفِّين، وكان الغرض فيهما بالنسبة لأهل البصرة والشام هو الثأر لعثمان رضي الله عنه، والتمكين من قتلة عثمان، فهل يقبل عاقل أن يرسل علي رضي الله عنه أحد قتلَة عثمان إلى معاوية؟! وكيف يمكن لرجل ضالع في الخصومة أن يكون وسيطاً في الصلح بين الطَّرفين المتنازعين؟! علماً بأنَّ عديّاً لم ينقطع عن المجيء إلى الشام والدخول على معاوية أثناء خلافته، وكان يجد منه كل تقدير واحترام. إنَّها ذيول السبئية إذاً، وآثارها المقصودة في الإساءة إلى الصَّحابة وجرِّهم إلى مواطن الطُّعون والاتِّهامات.

تلك أمة قد خَلَت:

إنّ ما جرى بين الصحابة الكرام من حروب واقتتال؛ إنّما كان اجتهاد منهم، وحسن نيّة للوصول إلى الحقِّ، فمن أخطأ فله أجر، ومن أصاب فله أجران. وهم الجيل المتفرِّد الذي شهد نزول القرآن وتربَّى على عين رسول الله ﷺ؛ وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿والسَّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار، والذين اتَّبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورَضُوا عنه﴾.

---

(١) أما مبالغة الأمويين وأهل الشّام في اعتبار علي بن أبي طالب ومن معه في جيشه من الصحابة وغيرهم من قتلة عثمان؛ فهو تعميم باطل أملته ظروف سياسية معينة، وليس منه اتهام معاوية لعدي.

وإيَّاهم عنَى النبيُّ بقوله: «خير أمتي قرني . .» فأيُّ طعن في عـدالتهم أو تجريحهم يعتبـر زندقـة، ويؤدِّي إلى الطّعن في الاسلام كلِّه، وهو ما رمت إليه اليهوديّة الحاقدة والمجـوسيّة الموتورة. إنّ خير ما نلجأ إليه ونحن نقرأ ما وقع بين الصحابة من اختلاف هو قول الله تعالى: ﴿ تلك أمَّة قد خَلَت، لهـا ما كسبتْ،ولكم ما كسبتُمْ، ولا تسئلون عمَّا كانوا يعملون ﴾.

الفصل السّابع

عَـدِيٌّ يودّع الحيَـاة

وفاته:

كتب الله لعديّ أن يعيش عمراً مديداً مباركاً، وسنواتٍ كثيرة ميمونة مملوءة بصالح الأعمال، وحياةً طويلة قضاها مُخَضْرَمَاً في الجاهلية والإسلام، وعندما حان الأجلِ المحدد الموعود لبَّت نفسه الزكيّة نداءَ ربِّها، ورجعت روحه الطّاهرة إلى بارئها راضية مرضيّة.

وقد ورد في تحديد سنة وفاته ثلاثة أقوال:

ففي «تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام» للذهبي: قال أبو عبيد: توفي عديّ سنة ٦٦ هـ. وقال ابن سعد: توفي سنة ٦٨ هـ. وقال هشام بن الكلبي: توفي سنة ٦٧ هـ. وله مائة وعشرون سنة[١]. وقال خليفة بن خيَّاط: مات عديّ بالكوفة سنة ٦٨ هـ[٢].

---

(١) تاريخ الاسلام، للذهبي ٤٨/٣.

(٢) تهذيب التهذيب ١٦٧/٧.

واتفق الذهبي في كتابه «العبر» وابن العماد الحنبلي في كتابه «شذرات الذهب» على ذكره في وفيات سنة ٦٧ هـ، لكنَّ الذهبي قال: وقيل في سنة ثمان، وابن العماد قال: وقيل في التي قبلها ـ أي في سنة ٦٦ هـ[١].

والمرجَّح أنَّه توفي في سنة ٦٧ هـ فعلاً؛ لأنَّه شهدَ تَوَثّب المختار بن أبي عبيد الثقفي على الكوفة وظهور أمره فيها، وكان بينه وبين عديّ خلاف، وقد همَّ في الخروج عليه وقتاله، ولكنَّ كبر سنه حال دون ذلك، وعندما أحسَّ عديٌّ بدنوٍّ أجله أوصى أن لا يصلّي عليه المختار، والمعروف أنَّ المختار إنَّما استفحل أمره، وانكشف كذبه[٢]، وتمَّ قتله في سنة ٦٧ هـ.

ففي «الرياض المستطابة»: مات ـ عديٌّ ـ بالكوفة زمن المختار بن أبي عبيد الكذّاب، وكان جرى بينه وبينه تناكر، وهمَّ بالخروج عليه فعجَّزه الكِبَر والضَّعف، فأشاع أنه دعا عليه[٣].

وفي كتاب «المعارف» لابن قتيبة: «.. ومات في زمن المختار، وله مائة وعشرون سنة، وأوصى أن لا يصلِّي المختار عليه[٤].

---

(١) العبر، للذهبي ١/٧٤ وشذرات الذهب ١/٧٤.
(٢) وصل به الكذب والضلال أن ادّعى نزول جبريل عليه.
(٣) الرياض المستطابة، للعامري ص ٢٢٣.
(٤) المعارف؛ لابن قتيبة ص ٣٠٣.

وفي هامش كتاب «المعمَّرون» لأبي حاتم السجستاني:

«ولمَّا غلب المختار بن أبي عبيد على الكوفة وقع بينهما تناكر، فهمَّ عديٌّ بالخروج عليه ثمَّ عجز لكبر سنه، ـ وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة ـ فقال:

أصبحتُ لا أنفع الصديق ولا أملكُ ضرّاً للشانىء الشَّرِس
وإن جرى بي الجواد منطلقاً لا يملك الكفُّ رجعة الفرس[1]

ومن المرجَّح أيضاً أنَّ عديّاً عُمّرَ مائة وعشرين سنة؛ لما ذكر في جميع الكتب والمصادر التي وصلت إلينا، ولكنَّ أبا حاتم السجستاني يذكر أنَّه عاش مائة وثمانين سنة؛ فيقول:

«وعاش عديُّ بن حاتم الطائي، بن عبد الله، بن حشرج، بن امرىء القيس، بن عدي، بن أخزم، بن أبي أخزم ـ وهو هزومة[2] ـ بن ربيعة، بن جرول، بن ثُعَل، بن عمرو، بن الغوث، بن طيء، مائة وثمانين سنة، فلما أسنَّ استأذن قومه في وطاء يجلس عليه في ناديهم، وقال: إنِّي أكره أن يظنَّ أحدكم أنِّي أرى عليه فضلاً، ولكنِّي قد كبرت ورقَّ عظمي.

فقالوا: ننظر.

(١) هامش كتاب «المعمرون»؛ لأبي حاتم السجستاني ص ٤٧.
(٢) الهزومة: الشجَّة، لأنه كان قد شُجَّ.

فلما أبطأوا عليه أنشأ يقول:

أجيبوا يا بني ثُعَل بن عمرو ... ولا تكموا الجواب من الحياء
فإنِّي قد كبرتُ ورقَّ عظمي ... وقلَّ اللحمُ من بعد النقاء
وأصبحتُ الغداةَ أريدُ شيئاً ... يقيني الأرضَ من برد الشتاء
وِطاءً يا بني ثُعَل بن عمرو ... وليس لشيخكم غير الوِطاء
فإن ترضوا به فسرورُ راضٍ ... وإن تأبَوا فإني ذو إباء
سأتركَ ما أردتُ لِمَا أردتُم ... وردُّك من عصاك من العَناء
لأنِّي من مَساءتكم بعيدٌ ... كبعد الأرض من جوٍّ السماء
وإنِّي لا أكون بغير قومي ... فليس الدَّلْو إلَّا بالرّشاء[1].

فأذنوا له أن يبسط في ناديهم، وطابت به أنفسهم، وقالوا: أنت شيخنا وسيدنا وابن سيدنا، وما فينا أحدٌ يكره ذلك ولا يدفعه[2]».

وروى جرير بن عبد الحميد عن مغيرة قال: خرج عديٌّ ابن حاتم، وجرير بن عبد الله البجلي، وحنظلة الكاتب من الكوفة، فنزلوا قرقيسياء، وقالوا: لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان[3].

وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي الصوري: أنا رأيت قبورهم بقرقيسياء[4].

---

(١) الرشاء: الحبل يدلى به الدلو في البئر.
(٢) المعمرون؛ لأبي حاتم ص ٤٦ ـ ٤٧.
(٣) تاريخ الاسلام؛ للذهبي ٣/٤٨. وتهذيب التهذيب؛ لابن حجر ٧/١٦٧.
(٤) تهذيب الكمال؛ للمزي (مخطوط).

حليته:

كان «عديُّ بن حاتم» طويلَ القامة، جميلَ الطَّلعة، وقد اشتهر عنه أنَّه من الناس الذين بزُّوا الرجال طولاً وجمالاً.

وفي كتاب «المحبَّر» لأبي جعفر محمد بن حبيب: أنَّ عديَّ بن حاتم الطائي كان ممَّن يركبُ الفرسَ الجُسام، فتخطُّ إبهاماه في الأرض[1]. كما ذكره في الأشـراف الذين فقئت أعينهم في الحرب[2]، وتقدَّم أنَّه فقد عينه يوم الجمل مع عليِّ ابن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال أبو إسحاق: رأيت عدّياً رجلاً جسيماً أعور، فرأيته يسجد على جدار ارتفاعه من الأرض ذراع أو نحو ذراع[3].

وقال عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعي عن أبيه عن جده، «كان عندنا في الحي مأدبة، فرأيت فيها ثلاثة رجالٍ عود، كأن وجوههم بيض النَّعام، لم أرَ صفحـة وجه أحسن منها، قال: قلت: يا أبة، سَمِّهم لي. قال: جرير بن عبد الله البَجَلي، والأشعث بن قيس الكِنْـدي، وعـديّ بن حـاتـم الطائي[4]».

(١) المحبَّر؛ لابن حبيب ص ٢٣٣.
(٢) المصدر السابق ص ٢٦١.
(٣) تاريخ الاسلام للذهبي ٤٨/٣.
(٤) تهذيب الكمال؛ للمِزّي (مخطوط).

أسرته:

إنّ المعلومات المتوفِّرة بين أيدينا تبيِّن أنَّ عديّاً رزق من الأولاد أربعة وهم: ولدان: محمد، وطَريف، وبنتان: أسَدَة وعَمْرة. وما ندري إن كان هؤلاء الأولاد الأربعة من أمٍّ واحدة أو أكثر. وأراد الله سبحانه وتعالى أن يبتليَ عبده «عديّاً» في الحياة الدنيا، ويمتحنَ صبره وثباته، ويرفعَ درجته عنـده، فرُزء في ولديه بعد أن شبَّا وبلغا مبلغ الرجال الفرسان، وقد تقدَّم أن ابنه محمداً قُتل يوم الجمل مع عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أما طَريف فقُتل مع الخوارج؛ ولذا لم يبقَ له عقب إلَّا من قبل ابنتيه: أسَدَة وعَمْرة، وإنّما عقب حاتم الطائي من ولده عبد الله ابن حاتم، وهم ينزلون بنهر كربلاء[(١)].

مآثره الخالدة:

وقبل أن نختم حياة عديٍّ المباركة نتوقّف قليلاً مع بعض المآثر الخالدة مما حفظته لنا بطون الكتب وذاكرة التاريخ، وهي مآثر تعلَّمها «عديّ» في مدرسة الاسلام، واقتدى فيها برسوله محمد بن عبد الله ﷺ، ودلَّتْ على رسوخ هذا الدين في أعماق أعماقه، وظهرت آثارها واضحة في أقواله وأفعاله.

فمن عفته وقناعته: ما رواه الشَّعْبي عن عديٍّ بن حاتم قال: أتيت عمر بن الخطاب في أناس من قومي، فجعل يفرض

(١) الرياض المستطابة ص ٢٢٣، والمعارف ص ٣١٣.

للرجل من طيِّء في ألفين ويُعرض عني، فاستقبلته فقلت: يا أمير المؤمنين، أتعرفني؟ قال: فضحك حتى استلقى لقفاه ثم قال: نعم، والله إنِّي لأعرفك: آمنت إذ كفروا، وعـرفتَ إذ أنكروا، ووفَّيتَ إذ غدروا، وأقبلتَ إذ أدبروا. وإنَّ أولَّ صدقة بيَّضَتْ وجه رسول الله ﷺ صدقةُ قومك. ثم أخذ يعتذر، ثم قال: إنَّما فرضتُ لقوم أجحفتْ بهم الفاقة وهم سادة عشائرهم لما ينوبهم من الحقوق(1). فقال: حسبي يا أمير المؤمنين، حسبي(2).

ومن عبادته وتقواه: ما أخرجه ابن عساكر، عن عديٍّ بن حاتم رضي الله عنه قال: ما جاء وقت صلاة قطُّ إلَّا وقد أخذت لها أهبتها، وما جاءت إلَّا وأنا إليها بالأشواق(3). وقـال: ما أقيمتْ الصلاةُ منذ أسلمتُ إلّا وأنا على وضوء(4). وما أخرجه الطبراني عن عـديٍّ بن حاتم رضي الله عنـه أنَّه خـرج إلى مجلسهم، فأقيمت الصَّلاة، فتقدَّم إمامهم فأطال الصَّـلاة في الجلوس، فلمَّـا انصرف قـال: من أمَّنَا منكم فليتمَّ الـركوع والسجود، فإنَّ خلفه الصغير والكبير والمريض وابن السبيل وذا الحاجة. فلما حضرت الصّلاة تقدَّم عديُّ بن حاتم وأتمَّ الركوع والسجود، وتجوَّز في الصلاة، فلما انصرف قال: هكذا كنَّا

(1) تهذيب الكمال للمزي (مخطوط).
(2) المعارف ص ٣١٣. وتهذيب التهذيب ١٦٦/٧.
(3) حياة الصحابة ٥٤٥/٣.
(4) تاريخ الاسلام للذهبي ٤٧/٣.

نصلّي خلف رسول الله ﷺ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/٧٣: رواه الطبراني في الكبير بطوله، وهو عند الإمام أحمد باختصار. ورجال الحديثين ثقات[١].

ومن كرمه وجوده: خطبَ إليـه عمرو بن حـريث ابنته فقـال: أزوجُكَها على حكمي، فخـاف عمرو أن يثمـده في الحكم، فأمسك عنه وشاور. فقيل له: تزوّج بها على حكمه فإنه كريم. فأتاه فأجابه الى حكمه. فحمد الله عز وجل «عديّ» وأثنى عليه ثم قال:

قد زوَّجتك علـى السُّنة: أربعمائة وثمانين درهماً. فبعث إليه عمرو بن حريث بكرامة ابنته أربعين ألفـاً، وبجرب من ثياب، فقسمها بين جلسائه، وجهَّز ابنته من عنده[٢].

واستعار بعض أشراف الكوفة من عديّ قدوره لوليمة له. فنحـر الجزر، وملأها، ثم حُملت الى المستعير بالـدهـوق مملوءة، وقال: هكذا نعير قدورنا[٣].

وأتى سالمُ بن دارةَ عديَّ بن حاتم فقال له: قد مدحتك، فقال له: أمسك عليك حتى أنبئك مالي فتمدحني على حَسَبه، لي ألف ضائنةٍ، وألفا درهمٍ، وثلاثة أعبد، وفرسي هذا حبيسٌ

---

(١) حياة الصحابة ٣/٦٠٢.

(٢) المحبَّر؛ لابن حبيب ص ١٥٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٦.

في سبيل الله، فقل، فقال:

تحنُّ قلوصي في مَعَدٍّ وإنَّما
تُلاقي الربيعَ في ديار بني ثُعَلْ
وأبقى اللَّيالي من عديّ بن حاتم
حساماً كلون الملح سُلَّ من الخِلَلْ
أبوك جوادٌ ما يُشقُّ غبارُهُ
وأنت جوادٌ ما تَعَذر بالعِلَلْ
فإن تتَّقوا شراً فمثلكم اتَّقى
وإن تفعلوا خيراً فمثلكم فعلْ

فقال له: أمسك عليك، لا يبلغ مالي أكثر من هذا، وشاطره ماله!![1].

وروي عنه أنه كان يفتُّ الخبز للنَّمل ويقولُ: إنهنَّ جارات لنا ولهن علينا حقوق[2].

وسمع عديٌّ رجلًا من الأعراب وهو يقول: يا قوم، تصدّقوا عليّ، شيخ معيل، وعابر سبيل، شهد له ظاهره، وسمع شكواه خالقه، بدنه مطلوب، وثوبه مسلوب، فقال له: من أنت؟ قال: رجل من بني سعد في دية لزمتني، قال: فكم هي؟

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣١٦. وسالم بن دارة: هو سالم بن مسافع، وأمه دارة من بني أسد، وسمِّيت دارة لجمالها، شبهت بدارة القمر.

(٢) العقد الفريد: ٤/١٧.

قال: مائة بعير. قال: دونكَها في بطن الوادي[1].

ومن أقواله وفصاحته: ما رواه محمد بن سيرين: عن عديٍّ بن حاتم: «إنَّ معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وإنَّ منكركم اليوم معروف زمان ما أتى، وإنَّكم لن تبرحوا بخير ما دمتم تعرفون ما كنتم تنكرون، وتنكرون ما كنتم تعرفون، وما دام عالمكم يتكلَّم بينكم غير مُسْتخفٍ[2]».

وما ذكره في «الرياض المستطابة» من قوله: «كثرة الكلام أوضع شيء لمقادير الرجال، وأمضُّ الأشياء عندي ردُّ السؤال بغير نوال[3]»..

وقيل له: ما السُّؤدد؟ قال: السيِّد الأحمق في مالـه، الذليل في عرضه، المطَّرِح لحقده[4].

وقيل له في جاهليته:

مالك لا تشرب الخمر؟ قال: لا أشرب ما يشربُ عقلي.

وقيل له في جاهليته أيضاً:

مالك لا تشرب النبيذ؟ قال: معاذَ الله أن أصبح حليم قومي وأمسي سفيههم[5].

---

(١) الرياض ص ٢٢٢. وكتاب «معرفته الصحابة» لأبي نعيم (مخطوط).
(٢) تهذيب الكمال؛ للمِزِّي (مخطوط).
(٣) الرياض المستطابةُ ص ٢٢٣.
(٤) العقد الفريد ٢/٢٨٦.
(٥) العقد الفريد ٨/٤٧.

ومن أجوبته المسكتة: أنّه دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير، فقال ابن الزبير: يا أمير المؤمنين، هِجْه فإنَّ عنده جواباً، فقال معاوية أما أنا فلا، ولكن دونك إن شئت، فقال له ابن الزبير: أي يوم فقئت عينك يا عديّ؟ قال: في اليوم الذي قتل فيه أبوك مُدْبراً، وضُربْتَ على قفاكَ مُوَلِّياً، فأفحمه[1].

وقال معاوية لعديٍّ بن حاتم يوماً: ما فعلتْ الطرفاتُ يا أبا طريف؟ ـ يعني أولاده ـ قال: قُتلوا، قال: ما أنصفكَ ابن أبي طالب إذ قُتل بنوك معه وبقي له بنوه، قال: لئن كان ذلك لقد قُتِل هو وبقيتُ أنا بعده! قال له معاوية: ألم تزعم أن لا يحبق في قتل عثمان عنز؟ قال: قد والله حبق فيه التيس الأكبر. قال معاوية: أما إنَّه قد بقيت من دمه قطرة ولا بد أن أتبعها، قال عدي: لا أبا لك، شِمِ السيفَ، فإنَّ سَلَّ السيفِ يُسِلُّ السيفَ. فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال: اجعلها في كتابك فإنَّها حكمة[2].

(١) مجمع الأمثال؛ للميداني ٢/٢٢٥.
(٢) العقد الفريد؛ لابن عبد ربه ٤/٩٨.

الباب الثالث

أَحَادِيثُ عَدِيّ

عَـدِيّ المحـدِّث

- موضوعات أحاديثه
- من مسند عديٍّ

عَـدِيّ المحَدِّث

أدرك عديٌّ من عمر رسول الله ﷺ سنتين، تتلمذ خلالهما عليه وتفقّه في دين الله ما وسعه الوقت، وما أتاحته فرص الإقامة في المدينة والجلوس بين يدي رسول الله ﷺ متعلماً ومتفقهاً. روى عن عمر بن الخطاب، وحفظ من فم النبي الكريم (٦٦) حديثاً، اتفق البخاري ومسلم على ستة منها، وانفرد البخاري بثلاثة، وانفرد مسلم بحديثين[١].

وروى عنه الشَّعْبي، ومُحِل بن خليفة الطائيّ، وسعيد بن جبير، وخيثمة بن عبد الرحمن، وعبد الله بن مغفَّل المزني، وتميم بن طرفة، وهمّام بن الحارث، ومصعب بن سعد، وأبو إسحاق السَّبيعي[٢]، وآخرون.

موضوعات أحاديثه:

لدى استعراضنا لأكثر الأحاديث التي رواها عديٌّ عن

---

(١) خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، للخزرجي ٢/٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٢) تهذيب التهذيب ٧/١٦٦.

رسول الله ﷺ، يتبين لنا أنَّ موضوعاتها تتركز غالباً في فقه العبادات، ومعرفة أحكام الحلال والحرام، وبخاصة في الصدقة والصيد، ممَّا يدل على حرص عديٍّ على التفقه والمعرفة؛ والتزام أحكام الشريعة في عباداته ومعاملاته وجميع تصرفاته.

وقد رأيتُ أن ألحق بهذه الدراسة عن حياة عدي الأحاديث المسندة إليه في الكتب الستة، وهي البخاري، ومسلم، وسنن الترمذي، والنَّسائي، وابن ماجه، وأبي داود. ووجدت في كتاب «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» لأبي الحجَّاج المِّزيِّ ما سهَّل لي هذا الأمر ـ فاتبعتُ ترتيبه في سرد الأحاديث حسب ترتيب أسماء الرواة عن عديّ على حروف المعجم، وذكرت الحديث كاملاً، وخرَّجته تخريجاً مفيداً.

يقول المزِّي رحمه الله تعالى:

ومن مسند عديّ بن حاتم الطائيّ عن النبي ﷺ:

وهو أبو طريف عدي بن حاتم ـ ثم يسرد نَسَبَه ـ ثم يقول: سكن الكوفة وحديثه في أهلها(١).

١ ـ تميم بن طَرَفة الطَّائي الكوفي، عن عدي بن حاتم.

حديث: «أنَّ رَجُلاً خطبَ عند النبيّ ﷺ فقال: مَنْ يُطِعِ الله ورسولَهُ فقد رَشَدَ. ومَنْ يَعْصِمهما فقد غوَى. فقالَ رسولُ

(١) تحفة الأشراف ٧/٢٧١ ـ ٢٨٤.

الله ﷺ: «بئسَ الخطيبُ أنت[1]. قلْ: ومَنْ يَعْـصِ الله ورسولَه فقد غوى».

رواه مسلم في كتاب الجمعة (باب تخفيف الصلاة والخطبة) رقم/٨٧٠/ ورواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب الرجل يخطب على قوس) رقم ١٠٩٩/ وفي كتاب الأدب رقم/٤٩٨١/. ورواه النَّسائي في كتاب النكاح (باب ما يكره من الخطبة) ٦ / ٩٠.

حديث: جَاءَ سائلٌ إلى عديّ بن حاتم، فسأله نفقةً في ثمنِ خادِمٍ أو في بعْض ثمن خادمٍ، فقال: ليس عندي ما أعطِيك إلا دِرْعي ومغْفري[2]، فأكتبُ إلى أهلي أن يُعطوكها. قال: فلم يرضَ. فغضب عديٌّ. فقال: أما والله، لا أعطيك شيئاً! ثم إنَّ الرجلَ رضي. فقال: أما والله: لولا أنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من حلف على يمين، ثم رأى أتْقَى لله منها، فليأتِ التقوى» ما حَنَّثْتُ[3] يميني. رواه مسلم في كتاب الأيْمان (باب ندب من حَلَف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، أن يأتي الذي هو خير، ويكفِّـر عن يمينه) رقم/١٦٥١/. وابن ماجه في كتاب الكفارات (باب من حلف على يمين فرأى غيرها

(١) بئس الخطيب أنت: قالوا: أنكر عليه رسول الله ﷺ التشريك في الضمير المقتضي لتوهُّم التَّسوية بين الله ورسوله، أو يخلُّ بالتعظيم الواجب لهما.

(٢) المغفر: زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة لحماية الوجه.

(٣) ما حَنَّثْتُ يميني: أي ما جعلتها ذات حنث. بل جئت بارّاً بها وافياً بموجبها.

خيراً منها) رقم/٢١٠٨/ والنَّسائي في كتاب الأيْمـان والنذور (باب الكفَّارة بعد الحنث) ٧/ ١٠ ـ ١١.

٢ ـ خيثمة بن عبد الرحمن الجُّعْفيّ الكوفي، عن عديّ بن حاتم

حديث: «ما منكم من أحدٍ إلَّا وسيكلِّمهُ الله يومَ القيامةِ ليس بينَ الله وبينَه ترجمان، ثم ينظر فلا يَرَى شيئاً قُدَّامَهُ، ثم ينظرُ بين يديه فتستقبِلُه النَّارُ، فمن استطاعَ منكم أن يتقيَّ النارَ ولو بشقِّ تمرة».

رواه البخاري في كتاب الرِّقاق (باب من نوقش الحساب عُذِّب) رقم/٦٥٣٩/، وفي التوحيد باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) رقم/٧٤٤٣/ و (باب كلام الرب عزوجل يوم القيامة مع الأنبيـاء وغيرهم) رقم/٧٥١٢/ ورواه مسلم في كتاب الزكاة (باب الحث على الصدقة ولو بشقِّ تمرة أو كلمة طيبة، وأنَّها حجاب من النار) رقم/١٠١٦/ ورواه ابن ماجه في المقدمة رقم/١٨٥/ وفي كتاب الزكاة (باب فضل الصدقة) رقم/١٨٤٣/، ورواه الترمذي في كتاب صـفة القيامة والرَّقائق والوَرَع (باب في القيامة) رقم/٢٤١٥/.

حديث: «ذكر النبيُّ ﷺ النار فتعوّذ منها وأشاحَ بوجههِ، ثم ذكرَ النَّارَ فتعوَّذ منها وأشاحَ بوجهَهَ[1] ـ قال شُعْبة: أمَّا مرتين فلا

(١) في رواية مسلم: «أنَّه ذكر النار فتعوَّذ منها، وأشاحَ بوجهه، ثلاث مِرَارٍ».

أشك ـ ثم قال: اتقوا النَّارَ ولو بِشقٍّ تمرةٍ، فإن لم يكن فبكلمة طيبة».

رواه البخاري في كتاب الأدب (باب طيب الكلام) رقم/٦٠٢٣/ وفي كتاب الرِّقاق (باب من نُوقش الحساب عُذِّب) رقم/٦٥٤٠/ وفي (باب صفة الجنة والنار) رقم/٦٥٦٣/ ورواه مسلم في كتاب الزكاة (باب الحثِّ على الصدقة ولو بشق تمرة..) رقم/١٠١٦/ ورواه النَّسائي في الزكاة (باب القليل في الصدقة) ٥/٧٤ ـ ٧٥.

٣ ـ سعيد بن جبير أبو عبد الله الأسديُّ الوالبيُّ، عن عدي بن حاتم.

حديث: «قلتُ يا رسولَ الله، أرمي الصَّيْدَ فأجدُ فيه من الغد سهمي. قال: إذا علمتَ أنَّ سهمك قتلَه ولم تَرَ فيه أثر سَبُعٍ فكُلْ».

رواه الترمذي في كتاب الصيد (باب في الرجل يرمي الصيد فيغيب عنه) رقم/٦٨/ وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه النَّسائي في الصيد والذبائح (باب في الذي يرمي الصيد فيغيب عنه) ٧/١٩٣.

٤ ـ عامر بن شراحيل أبو عمرو الشَّعْبي، عن عديّ بن حاتم

أ ـ بيان بن بشر أبو بشر البجلي، عن الشَّعبي عن عدي ابن حاتم.

حديث: «سألتُ رسول الله ﷺ قلتُ: إنَّا قومٌ نصيد بهذه الكلاب؟ قال: إذا أرسلت كلابك المعلَّمة وذكرت اسم الله فكُلْ ممَّا أمسَكنَ عليك وإن قتلنَ، إلاَّ أن يأكلَ الكلبُ، فإنِّي أخافُ أن يكون إنَّما أمسكه على نفسِهِ، وإنْ خالطَها كلابٌ من غيرها فلا تأكلْ».

رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد (باب إذا أكل الكلب..) رقم /٥٤٨٣/ و (باب ما جاء في التصيُّد) رقم/٥٤٨٧/. ورواه مسلم في كتاب الصَّيْد (باب الصَّيْد بالكلاب المعلَّمة) رقم/١٩٢٩/. ورواه أبو داود في كتاب الصَّيْد (باب في الصَّيْد) رقم/٢٨٤٨/. ورواه ابن ماجه في كتاب الصيد (باب صيد الكلب) رقم/٣٢٠٨/.

٢ ـ حصين بن عبد الرحمن السُّلَميّ، عن الشعبيّ، عن عدي بن حاتم

حديث: «لمَّا نزلَتْ[1] (حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيضُ

---

(١) لما نزلت: قال ابن حَجَر في فتح الباري ١٣٢/٤: ظاهر الحديث أنّ عديّاً كان حاضراً لمّا نزلت هذه الآية، وهو يقتضي تقدُّم إسلامه، وليس كذلك؛ لأنَّ إسلامه كان في التاسعة أو العاشرة كما ذكره ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي، فإمّا أن يقال إنَّ الآية التي في حديث الباب تأخر نزولها عن نزول فرض الصوم وهو بعيد جداً. وإمّا أن يؤوّل قول عدي هذا على أن المراد بقوله: «لما نزلت أي لمَّا تُليت عليَّ عند إسلامي، أو لمَّا بلغني نزول الآية...».

من الخيط الأسودِ) عَمَدْتُ إلى عقالٍ[1] أسودَ وإلى عقالٍ أبيضَ فجعلتُهما تحت وسادتي، فجعلتُ أنظرُ في الليل فلا يستبينُ لي. فغدوتُ على رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له فقال: إنَّما ذلك سوادُ الليلِ وبياضُ النهار».

رواه البخاري في كتاب الصوم (باب قول الله تعالى: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم...) رقم/١٩١٦/ وفي التفسير (باب قول الله تعالى: (وكلوا واشربوا....) رقم/٤٥٠٩/و /٤٥١٠/ وفيهما أنَّ النبي قال لعديٍّ: «إنّ وسادك إذاً لعريض[2]، أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك» و «إنّك لعريض القفا[3] إن أبصرت الخيطين».

ورواه مسلم في كتاب الصوم (باب بيان أنَّ الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر..) رقم/١٠٩٠/، ورواه أبو داود في كتاب الصوم (باب وقت السحور) رقم/٢٣٤٩/. ورواه الترمذي في كتاب التفسير (باب تفسير سورة البقرة) رقم/٢٩٧٤/ و/٢٩٧٥/.

حديث: «سألتُ النبيَ ﷺ عن المِعْرَاض[4].. فقال: إذا

---

(١) عقال: حبل.

(٢) إن وسادك إذاً لعريض: أي إن وسادك إن كان يغطي الخيطين اللذين أراد الله فهو إذا عريض واسع.

(٣) إنّك لعريض القفا: إنَّ الوساد الذي يغطي الليل والنهار لا يرقد عليه إلَّا قفا عريض للمناسبة.

(٤) المِعْراض: هو خشبة ثقيلة، أو عصا في طرفيها حديدة.

أصابَ بحدِّه فكلّ، وإذا أصَاب بعَرْضِهِ فلا تأكلْ».

رواه النَّسائي في كتاب الصيد (باب ما أصاب بحدِّه من صيد المعراض) ١٩٥/٧.

٣ ـ الحكم بن عُتَيبة الكِنْديُّ، عن الشَّعْبيّ، عن عدي بن حاتم.

حديث: «سمعتُ عديَّ بن حاتم ـ وكان لنا جاراً ودخيلاً وربيطاً بالنهرين ـ أنه سألَ النبيَ ﷺ قال: أُرسِلُ كلبي فأجِدُ مع كلبي كلباً قد أَخذَ، لا أدْري أيهما أَخَذَ. قال: «فلا تأكلْ. فإنما سمَّيْتَ على كلبِك، ولم تُسَمِّ على غيرِهِ».

رواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح (باب الصيد بالكلاب المعلَّمة) رقم/١٩٢٩/ ورواه النسائي في كتاب الصيد والذبائح (باب إذا وجد مع كلبه كلباً غيره) ١٨٢/٧.

٤ ـ داود بن أبي هند البصريّ، عن الشَّعْبي، عن عديٍّ ابن حاتم.

حديث: « يا رسول الله، أحدُنا يرمي الصَّيْدَ فيقتفي أثرهُ اليومين والثلاثة ثم يجدُه ميتاً وفيه سهمه، أيأكلُ؟ قال: نعم إنْ شاءَ، أو قال: يأكل إن شاء».

رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد (باب الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة) رقم/٥٤٨٥/ وفيه «فيفتقر أثره»: أي

يتبع فقاره حتى يتمكن منه. ورواه أبو داود في كتاب الصيد (باب في الصيد) رقم/ ٢٨٥٠/.

٥ - زكريا بن أبي زائدة الهَمْدانيّ، عن الشَّعْبيّ، عن عديّ بن حاتم.

حديث: «سألتُ النبيَّ ﷺ عن صيد المِعْراض، قال: ما أصاب بحدِّه فكُلْه وما أصاب بعَرْضِهِ فهو وقيذ[1]. وسألته عن صيد الكلب، فقال، ما أمسك عليك فكُلْ، فإنَّ أَخْذَ الكلبِ ذكاةٌ. وإن وجدْتَ مع كلبك - أو مع كلابك - كلباً غيرَه فخشيتَ أن يكون أخذه معه - وقد قتله - فلا تأكلْ، فإنَّما ذكرتَ اسمَ الله على كلبك، ولم تذكره على غيره».

رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد (باب التسمية على الصيد) رقم/ ٥٤٧٤/.

ورواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح (باب الصيد بالكلاب المعلَّمة رقم/ ١٩٢٩/.

ورواه الترمذي في الصيد باب ما جاء في صيد المعراض) رقم/ ١٤٧١/.

ورواه النسائي في الصيد والذبائح (باب إذا وجد مع كلبه كلباً غير) ٧/ ١٨٢.

---

(١) وقيذ: هو الذي يقتل بغير محدد من عصا أو حجر أو غيرهما.

ورواه ابن ماجه في كتاب الصيد (باب صيد المعراض) رقم/٣٢١٤/ و/٣٢١٥/.

٦ً ـ سعيد بن مسروق الثوريُّ، عن الشعبيّ، عن عديّ بن حاتم.

حديث: «سمعتُ عديَّ بن حاتم ـ وكان لنا جاراً ودخيلاً وربيطاً بالنهرين ـ أنه سأل النبي ﷺ قال: أرسل كلبي، فأجد مع كلبي كلباً قد أخذ. لا أدري أيهما أخذ، قال: فلا تأكلْ؛ فإنما سمَّيْتَ على كلبكِ ولم تُسَمِّ على غيره».

رواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح (باب الصيد بالكلاب المعلَّمة) رقم/١٩٢٩/ ورواه النَّسائي في الصيد والذبائح (باب إذا وجد مع كلبه كلباً غيره) ٧/١٨٢ ـ ١٨٣.

٧ً ـ عاصم بن سليمان الأحول، عن الشَّعْبي، عن عديٍّ ابن حاتم.

حديث: «إذا أرسلت كلبكَ وسمَّيْتَ فأمسكَ وقتلَ فكُل، وإن أكلَ فلا تأكُلْ، فإنَّما أمسك على نفسِهِ. وإذا خالطَ كلاباً لم يُذكر اسم الله عليها فأمسكنَ فقتلنَ فلا تأكلْ، فإنَّك لا تدري أيُّها قتل. وإن رَمَيْتَ الصيد فوجدته بعد يوم أو يومين ليس به إلاَّ أثرُ سهمِك فكلْ، وإنْ وقعَ في الماءِ فلا تأكلْ».

رواه البخاري في كتاب الذّبائح والصيد (باب الصيد إذا غاب عنه يومين أو ثلاثة) رقم/٥٤٨٤/. ورواه مسلم في كتاب

الصيد والذبائح (باب الصيد بالكلاب المعلَّمة) رقم/١٩٢٩/. ورواه أبو داود في كتاب الصيد (باب في الصيد) رقم/٢٨٥٠/.

ورواه الترمذي في كتاب الصيد (باب فيمن يرمي الصيد فيجده ميتاً في الماء) رقم/١٤٦٩/.

ورواه ابن ماجه في كتاب الصيد (باب الصيد يغيب ليلة) رقم/٣٢١٣/. ورواه النَّسائي في كتاب الصيد والذبائح (باب الكلب يأكل من الصيد) ٧/١٨٣ ـ ١٨٤.

٨ ـ عبد الله بن أبي السَّفَر الهَمْدانيّ، عن الشَّعْبيّ، عن عديّ بن حاتم.

حديث: «سألتُ رسولَ الله ﷺ عن المِعْراض، فقال: إذا أصاب بحدِّه فكُلْ، وإذا أصاب بَعَرْضه فقَتَلَ، فإنَّه وقيذٌ، فلا تأكلْ. وسألتُ رسول الله ﷺ عن الكلب، فقال: إذا أرسلتَ كلبَكَ وذكرتَ اسمَ الله فكُلْ. فإنْ أكلَ منه فلا تأكلْ، فإنَّه إنَّما أمسك على نفسه. قلتُ فإنْ وجدْتُ مع كلبي كلْباً آخر، فلا أدري أيُّهما أخَذَهُ؟ قال: فلا تأكلْ. فإنَّما سمَّيْتَ على كلبِك ولم تُسَمِّ على غَيْرِهِ».

رواه البخاري في كتاب البيوع (باب تفسير المشبَّهات) رقم/٢٠٥٤/ وفي الصيد والذبائح (باب صيد المعراض) رقم/٥٤٧٦/ وفي كتاب الوضوء (باب الماء الذي يُغسل به

شعـر الإنسان) رقم/١٧٥/. ورواه مسلم في كتـاب الصيـد والذبائح (باب الصيد بالكلاب المعلَّمة) رقم/١٩٢٩/. ورواه أبو داود في كتاب الصيـد (باب في الصيـد) رقم/٢٨٥٤/. ورواه النسائي في كتاب الصيد والذبائح (باب ما أصاب بعرض من صيد المعراض) ٧/١٩٤.

٩ً ـ عبـد الأعلى بن أبي المساور، عن الشَّعْبيّ، عن عديّ بن حاتم.

حديث: «لما قدِمَ عديٌّ بن حاتم الكوفة، أتيناه في نفرٍ من فقهاءِ أهلِ الكوفةِ. فقلنا له: حدثنا ما سمعتَ من رسول الله ﷺ، فقال: أَتيتُ النبي ﷺ فقال: يا عديُّ بن حاتم، أسلمْ تَسْلَمْ. قلتُ: وما الاسلام؟ فقال: تشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، وأنِّي رسولُ الله، وتؤمِنُ بالأقدارِ كلِّها، خَيْرِهَا وشَرِّها، حُلْوِها ومُرِّهَا».

رواه ابن مـاجه في المقـدمـة (بـاب في القـدر) رقم/٨٧/. [1]

١٠ً ـ مُجالد بن سعيد الهمْدَانيّ، عن الشعبيّ، عن عدي ابن حاتم.

حديث: «ما علَّمْتَ من كَلْبٍ أو بَازٍ ثم أرسلتَهُ وذكرْتَ

(١) وفي سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١/٣٤: في الزوائد: هذا إسناد ضعيف. قلت: وفي الحديث ما يدل على أن الأقدار هي المنافع والمضار، وليست الطاعة والمعصية.

اسمَ الله فكُلْ ممّا أمسك عليك. قلت: وإنْ قتلَ ؟ قال: إذا قتلَهُ ولم يأكلْ منه شيئاً فإنَّما أمسكه عليك».

رواه أبو داود في كتاب الصيد (باب في الصيد رقم/٢٨٥١/ ورواه الترمذي في كتاب الصيد (باب صيد البزاة) رقم/١٤٦٧/ وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث مُجالد.

حديث: «سألت رسول الله ﷺ عن صيد الكلب المعلَّم قالُ: إذا أرسلت كلبكَ المعلَّمَ وذكرتَ اسمَ الله فكلْ ما أمْسَكَ عليكَ، فإنْ أكلَ فلا تأكلْ فإنَّما أمسكَ على نفسِهِ. قلت: يا رسول الله، أرأيتَ إن خالطتْ كلابَنَا كلابٌ أُخَرُ؟ قال: إنَّما ذكرتَ اسم الله على كلبك ولم تذكرْ على غيره». قال سفيان: أكْرَهُ له أكلَهُ.

رواه الترمذي في كتاب الصيد (باب ما جاء في الكلب يأكل من الصيد) رقم/١٤٧٠/.

حديث: «لمَّا نزلت (حتى يتبيّن لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجر قالَ لي النبيُّ ﷺ: إنما ذاك بياضُ النهار من سواد الليل». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن (باب رقم ٣) رقم/٢٩٧٠/ و /٢٩٧١/.

حديث: «قلت: يا رسول الله إنَّا قومٌ نَرْمي. قال: إذا رمَيْتَ وخزقْتَ فكُلْ ما خَزَقْتَ[1]».

رواه ابن ماجه[2] في كتاب الصيد (باب صيد القوس) رقم/٣٢١٢/.

١١ أ - مُطرِّف بن طريف الكوفيّ، عن الشعبي، عن عدي ابن حاتم.

حديث: «قلت: يا رسول الله، ما الخيط الأبيضُ من الخيطِ الأسود، أهما الخيطان؟ قال: إنَّك لعريضُ القفا إنْ أبْصَرْتَ الخيطين. ثم قال: لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار».

رواه البخاري في كتاب التفسير (باب وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم..) رقم/٤٥١٠/ ورواه النَّسائي في كتاب التفسير في سننه الكبرى، وفي كتاب الصوم (باب تأويل قول الله تعالى: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر) ٤/١٤٧.

٥ - عبَّادُ بن حُبَيْش الكوفيُّ، عن عديّ بن حاتم.

حديث: «أتيْتُ النبيَّ ﷺ في المسجد، فقال الناس: هذا

---

(١) خزقت: في النهاية: خزق السهم وخسَق: إذا أصاب الرمية ونفذ منها.

(٢) في سنن ابن ماجه ٢/١٠٧١: في الزوائد: في إسناده مجالد بن سعيد، وهو ضعيف. وأصل الحديث في الصحيحين وغيرهما، لكن بغير هذا السياق.

عديٌّ بن حاتم، وجئتُ بغير أمانٍ ولا كتاب. فلمَّا دفعتُ إليه أخذَ بيدي، وقد كان قالَ قبلَ ذلك: إنِّي لأرجو أن يجعلَ الله يدَه في يدي، قال: فقام فلقيتْهُ امرأةٌ وصبيٌّ معها. فقالا: إنَّ لنا إليك حاجةً. فقام معهما حتى قضي حاجتَهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي دارَهُ، فألقَتْ له الوليدةُ وِسادةً فجلس عليها، وجلستُ بين يديه، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما يُفِرُّكَ؟ أن تقول: لا إله إلا اللّهُ. فهل تعلمُ من إلهٍ سوى الله؟ قال: قلتُ: لا. قال: ثم تكلَّم ساعةً ثم قال: إنما تفِرُّ أن تقولَ: الله أكبر، وتعلمُ أنَّ شيئاً أكبرُ من الله؟ قال: قلتُ لا، قال: فإنَّ اليهودَ مغضوبٌ عليهم وإنَّ النصَّارى ضُلَّالٌ، قال: قلتُ: فإني جئتُ مُسْلماً، قال: فرأيْتُ وجهَهُ تَبَسَّطَ فرحاً، قالَ: ثم أَمَرَ بي فأُنزلت عندَ رجلٍ من الأنصار وجعلتُ أغشاهُ طرفي النهار، قال: فبينا أنا عنده عشيَّةً إذ جاءه قومٌ في ثياب من الصوف من هذه النِّمار(١)، قال: فصلَّى وقام فحثَّ عليهم ثم قالَ: ولو صاعاً ولو بنصفِ صاعٍ، ولو بقَبْضةٍ، ولو ببعضِ قَبْضَةٍ يقي أحدُكم وجهَهُ حَرَّ جهنَّم أو النّار، ولو بتمرةٍ ولو بشقَ تمرَةٍ، فإن أحدَكم لاقي الله وقائلٌ له ما أقول لكم: ألَمْ أجعلْ لكَ سمعاً وبصراً؟ فيقول: بلى، فيقول: أَلَمْ أجعلْ لك مالاً وولداً؟ فيقولُ: بلى. فيقولُ: أين ما قدَّمْتَ لنَفْسِك؟ فينظُر قُدَّامه وبعدَهُ، وعن يمينه وعن شِماله، ثم لا يجدُ شيئاً يقي به وجهَهُ حَرَّ جهنم. لِيَقِ أحدُكم وجهَهُ النَّارَ ولو بشِقّ تمرةٍ، فإنْ لم يجد فبكلمة طيّبة،

(١) النمار: كل شَمْلة مخطَّطة من مآزر الأعراب؛ كأنها أخذت من لون النَّمر.

فإنّي لا أخافُ عليكم الفاقةَ، فإنَّ الله ناصرُكم ومعطيكُمْ حتى تسيرَ الظعينة[1] فيما بين يثربَ والحيرة أكثرُ ما تخافُ على مطيّتها السَرَقُ، قال: فجعلتُ أقولُ في نفسي: فأين لصوصُ طيِّء؟!.

رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن (باب ٢ رقم/٢٩٥٦/ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاَّ من حديث سِمَاك بن حرب.

٦ ـ عبد الله بن عمرو ـ مولى الحسن بن علي ـ عن عدي بن حاتم.

حديث: «من حَلَفَ على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأتِ الذي هو خيرٌ وليكفِّر عن يمينه».

رواه النَّسائي في كتاب الأيمان والنذور (باب الكفارة بعد الحنث) ٧/١٠ ـ ١١.

٧ ـ عبد الله بن مَعْقِل بن مقرِّن المزنيّ، عن عديّ بن حاتم.

حديث: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: مَنْ استطاعَ منكم أن يستتر من النار ولو بشِقِّ تمرةٍ فليفعلْ».

رواه البخاري في كتاب الزكاة (باب اتقوا النار ولو بشقِّ

---

(١) الظعينة: المرأة في الهودج.

تمرة..) رقم/١٤١٧/. ورواه مسلم في كتاب الزكاة (باب الحث على الصدقة ولو بشقّ تمرة أو كلمة طيبة) رقم/١٠١٦/.

٨ ـ عمرو بن حُريث، عن عديّ بن حاتم.

حديث: «أتينا عمر في وَفْدٍ، فجعلَ يدعو رجلاً رجلاً ويسمِّيهم. فقلت: أما تعرفني يا أميرَ المؤمنين؟ قال: بلى، أسلمتَ إذ كفروا، وأقبلت إذا أدْبروا، ووفَيْتَ إذْ غَدَرُوا، وعَرَفْتَ إذ أنكروا. فقال عدي: فلا أبالي إذاً[1]».

رواه البخاري في كتاب المغازي (باب قصة وفد طيء، وحديث عديّ بن حاتم) رقم/٤٣٩٤/.

٩ ـ القاسم بن عبد الرحمن: أبو عبد الرحمن، الشاميّ، عن عديّ بن حاتم.

حديث: «أنَّه سألَ رسول الله ﷺ: أيُّ الصدقةِ أفضلُ؟ قال: خِدْمة عبدٍ في سبيلِ الله، أو ظِلُّ فُسْطَاطٍ،[2] أو طُروقةُ[3] فَحْلٍ في سبيل الله».

---

(١) فلا أبالي إذاً: أي إذا كنت تعرف قدري فلا أبالي اذا قدَّمت عليّ غيري، وفي «الأدب المفرد» للبخاري، أنَّ عمر قال لعديٍّ: «حيّاك الله من معرفة». انظر فتح الباري ١٠٣/٨.

(٢) الفسطاط: بيت من شعر.

(٣) طروقة فحل: هي الناقة إذا كبرت وصلحت أن يعلوها الفحل، وهي الحقّة من الإبل.

١٠ ـ عن مُحِلِّ بن خليفة الطائي الكوفي، عن عديّ بن حاتم.

حديث: «كنتُ عندَ رسولِ الله ﷺ فجاءه رجلان: أحدهما يشكو العَيْلَة، والآخرُ يشكو قطعَ السَّبيل. فقالَ رسولُ الله ﷺ أمَّا قطعُ السبيل فإنَّه لا يأتي عليكَ إلاَّ قليلٌ حتى تخرجَ العيرُ إلى مكة بغير خفير. وأمَّا العَيْلَةُ فإنَّ الساعةَ لا تقومُ حتى يطوفَ أحدُكم بصدقتِه لا يَجِدُ مَنْ يقبلُها منه. ثم لَيَقِفَنَّ أحدُكم بين يدي الله ليس بينَه وبينَه حجابٌ ولا ترجمانٌ يُترجِم له، ثم لَيقولَنَّ له: ألمْ أوتكَ مالاً؟ فليقولنّ: بلى، ثم ليقولَنَّ: ألم أرسل إليك رسولاً؟ فليقولَنَّ: بلى. فينظرُ عن يمينه فلا يرى إلا النَّارَ، ثم ينظر عن شِمالِه فلا يرى إلاَّ النَّارَ. فليتقينَّ أحدُكُمُ النَّارَ ولو بِشِقِّ تمرةٍ، فإنْ لم يجد فبكلمة طيبة».

رواه البخاري في كتاب الزكاة (باب الصدقة قبل الرد) رقم/١٤١٣/ وفي كتاب المناقب ـ(باب علامات النبوة) رقم/٣٥٩٥/. ورواه النَّسائي في كتاب الزكاة (باب القليل في الصدقة) ٥/٦٤ ـ ٦٥.

١١ ـ مُرِّي بن قطريٍّ الكوفي، عن عديّ بن حاتم

حديث: يا رسول الله، أرأيتَ إن أحدُنا أصابَ صَيْداً وليس معه سكِّينٌ، أيذبحُ بالمرْوَة[1] وشقّة العصا؟ فقال: امْرِ

---

(١) المروة: حجارة بيض، قال الأصمعي: وهي التي يقدح منها النار. وإنما تجزىء الذَّكاة من الحجر بما كان له حدٌّ يقطع.

الدَّمَ بما شئتَ، واذكر اسمَ الله عزوجل».

رواه ابـو داود في كتاب الأضـاحي (باب في الـذبيحة بالمروة) رقم/٢٨٢٤/ ورواه النّسائي في كتاب الضحايا (باب إباحة الذبح بالعود).

ورواه ابن ماجه في كتاب الذبائح (باب ما يذكَّى به) رقم/٣١٧٧/.

حديث: «سألتُ النبيَّ ﷺ عن طعام النَّصَارى فقال: لا يَتَخَلَّجَنَّ[1] في صدرِك طعامٌ ضارعَتْ فيه النَّصرانيّةُ».

رواه الترمذي في كتاب السير (باب ما جاء في طعام المشركين) رقم/١٥٦٥/ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

١٢ ـ مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهريّ، عن عدي ابن حاتم.

حديث: «أتيْتُ النبيَّ ﷺ وفي عنقي صَلِيْبٌ من ذهب. فقال: يا عدي، اطرحْ عنكَ هذا الوثَنَ، وسمعتُهُ يقرأُ في سورة براءة (اتخذوا أحبارَهُم ورهبانَهم أرباباً من دون الله[2]) قال: أما إنَّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاًاستحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه».

(١) لا يتخلجن: لا تشك.

(٢) سورة التوبة: ٣١.

رواه الترمذي في كتاب التفسير (باب ١٠) رقم/٣٠٩٥/. وقال: هذا حديث غريبٌ، لا نعرفه إلَّا من حديث عبد السلام ابن حرب، وغُطَيف بن أعين - أحد رواة الحديثِ - ليس بمعروف في الحديث.

١٣ - همّام بن الحارث النَّخعيّ الكوفيّ، عن عديّ بن حاتم.

حديث: «قلت: يا رسول الله، إنَّا نرسلُ الكِلابَ المعلَّمَة. قال: كُلْ ما أمْسكنَ عليكَ. قلتُ: وإنْ قتلْن؟ قال وإنْ قتلْن. قلتُ وإنا نرمي بالمِعْراض. قال: كلْ ما خَزَق، وما أصابَ بعرضه فلا تأكل».

رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد (باب ما أصاب المعراض بعرضه) رقم/٥٤٧٧/ وفي التوحيد (باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها) رقم/٧٣٩٧/. ورواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح (باب الصيد بالكلاب المعلّمة) رقم/١٩٢٩/. ورواه أبو داود في كتاب الصيد (باب في الصيد) رقم/٢٨٤٧/. ورواه الترمذي في كتاب الصيد (باب ما يؤكل من صيد الكلب) رقم/١٤٦٥/. ورواه النَّسائي في كتاب الصيد (باب الأمر بالتسمية عند الصيد).

رواه ابن ماجه في كتاب الصيد (باب صيد المعراض) رقم/٣٢١٢/ و/٣٢١٤/.

تم الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً

فهرس

صدر للمؤلف

١ ـ **نزهة المتَّقين، شرح رياض الصالحين**، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ـ بالاشتراك مع الدكتور مصطفى الخن ـ الدكتور مصطفى البغا ـ محمد أمين لطفي ـ علي الشربجي.

٢ ـ **الفصول في سيرة الرسول ﷺ**، للحافظ ابن كثير ـ الطبعة الثالثة ـ تحقيق ـ بالاشتراك مع الدكتور محمد العيد الخطراوي.

٣ ـ **الصلاة**، الطبعة الثامنة ـ دار القلم ـ دمشق بيروت.

٤ ـ **الصوم**، الطبعة الخامسة ـ دار القلم ـ دمشق بيروت.

٥ ـ **الحج والعمرة**، الطبعة الثالثة ـ دار القلم ـ دمشق بيروت.

٦ ـ **الزكاة**، الطبعة الثالثة ـ دار القلم ـ دمشق بيروت.

٧ ـ **عبد الله بن عمر الصحابي المؤتسي برسول الله ﷺ**، الطبعة الثالثة ـ دار القلم ـ دمشق بيروت.

٨ ـ **حسن الإسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**، لصدِّيق حسن خان ـ الطبعة الثالثة مؤسسة الرسالة ـ تحقيق بالاشتراك مع الدكتور مصطفى الخن.

٩ ـ **الوافي في شرح الأربعين النووية**، دار الامام البخاري ـ الطبعة الأولى ـ بالاشتراك مع الدكتور مصطفى البغا.

١٠ ـ **كتاب الأربعين النووية**، مؤسسة علوم القرآن ـ دار الإمام البخاري ـ الطبعة الأولى ـ بالاشتراك مع الدكتور مصطفى البغا.

١١ ـ **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، للخضري** ـ مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثانية ـ تحقيق بالاشتراك مع الشيخ نايف العبَّاس.

١٢ ـ **عـديٌّ بن حاتم الـطائي** ـ الجواد ابن الجـواد، الطبعـة الأولى ـ دار القلم ـ دمشق بيروت.

تحت الطبع

١ ـ **المقاصد السنيّة في الأحاديث الإلهيـة**، لعلي بن بَلَبـان ـ المتوفَّى سنـة ٦٨٤ هـ ـ تحقيق بالاشتراك مع الدكتور محمد العيد الخطراوي.

٢ ـ **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّير**، لابن سيِّد النـاس المتوفَّى سنة ٧٣٤ هـ مقابلة على خمس مخطوطات ـ تحقيق بالاشتراك مع الدكتور محمد العيد الخطراوي.